المشرق

نقل المسافرين والبريد بالطيّارات

من قلم الاب غله اليسوعي

انّ فنّ الطيران خرج الآن من دور الآثر البطليّة التي أودت بحياة عدد لا يحصى من راقعي لوائه ودخل بعد الحرب الكونية في دور عملي اقلّ خطرًا بدون قياس لكنّهُ اجزل فائدة لكل المجتمع البشري. ومن اعظم الخدم التي يقوم بها حاضرًا نَقلهُ للمسافرين والبريد من بلد الى آخر ولاسيّما من عاصمة الى اخرى على جناح السرعة ولا استعارة هنا في هذا التعبير!

١ نقل المسافرين

اجل ان القطارات والبواخر تنقل حتى يومنا هذا تقريباً كل المسافرين فلا يُستثنى من هذا الحكم العام سوى النزر القليل منهم وهم الذين تُلجئهم ضرورةٌ ماسّة الى تقصير مدّة السفر بقدر الامكان او الذين شُغفوا بالتحليق في مملكة الهواء وتَهَب رحيب الفضاء والتحرّر من اغلال الجاذبية. وعدد الفئة الاخيرة لا يزال ينمو يوماً فيوماً وقد هان الآن على هؤلاء المغرمين بالطيران إشباع نَهمتهم فيهِ بدون تبذير الاصفر الرنّان فان نفقة السياحات الهوائية لا تتجاوز كثيرًا مصاريف السفر بالدرجة الاولى من القطارات او البواخر بل هي دونها في بعض الظروف وان يكن ذلك من الغرابة بمكان

هاك جداول اهمّ خطوط الطيران الاوربية لنقل المسافرين والبريد والبضائع. أفنناه استنادًا الى معلومات عديدة طلبناها لاجل قرّاء المشرق من وكالات شركات الطيران في باريس:

١ (من باريس الى لندرة) خطّان جويّان تبلغ في احدهما نفقة السفر ٣٠٠ فرنك بدلًا من نحو ١٧٠ في الدرجة الاولى من القطار والباخرة بالسفر الاعتيادي. المسافة بين العاصمتين نحو ٣٧٠ كيلومترًا تُقطع في ساعتين ونصف بسرعة زهاء ١٥٠ كيلومترًا في الساعة. والسفر يوميّ في احد الخطّين ويجري ثلاث مرات كل اسبوع في الخطّ الآخر

٢ (من باريس الى بروكسل) السفر يوميّ ما عدا الاحد. المسافة نحو ٢٧٥ كيلومترًا والنفقة ١٧٥ فرنكًا

٣ (من باريس الى ستراسبرغ) السفر يومي ما عدا الاحد. المسافة نحو ٤١٥ كيلومترًا تُجتاز في ساعتين ونصف ليس الّا بسرعة ١٧٠ كيلومترًا في الساعة وهي اعظم ما نعرفه في خطوط الطيران. والنفقة ١٥٠ فرنكًا بدلًا من ١٠٦ فرنكات بالدرجة الاولى من السكة الحديدية

٤ (من ستراسبرغ الى براغ) عاصمة تشاكوسلوفاكية: السفر يجري ثلاث مرار في الاسبوع. المسافة زهاء ٥٣٠ كيلومترًا يقطعونها في ثلاث ساعات ونصف بسرعة نحو ١٥٢ كيلومترًا في الساعة. والنفقة ٣٥٠ فرنكًا — ومن العجب العجاب ان السياحة طيرانًا من باريس الى براغ على الخطّين الاخيرين تعاقبًا تتمّ باجتياز نحو الف كيلومتر في ست ساعات ومع ذلك تراها ارخص من السكة الحديدية. فتأمل!

٥ (من براغ الى ڤرسوڤية) المسافة زهاء ٥٣٠ كيلومترًا والنفقة ٣٠٠ فرنك

٦ من تولوز (فرنسة) الى كازابلانكا (مراكش) على طريق برسارنه وأليكنت ومَلَقة ورباط. السفر يجري ثلاث مرات في الاسبوع. مجموع المسافات يبلغ نحو ١٨٥٠ كيلومترًا تُقطع في ١٤ ساعة بمعدّل سرعة ١٣٢ كيلومترًا في الساعة — ومقدار النفقة ١٬٦٨٠ فرنكًا

في نيسان سنة ١٩٢١ كان للشركة المالكة هذا الخط ٧٠ طيارة لجميعها محرّكات قوّتها إجمالًا تفوق على ٤٥٬٠٠٠ حصان بخاري. ومن غرّة ايلول سنة ١٩١٩ وهو تاريخ افتتاح هذا الخط الى نهاية سنة ١٩٢٠ اجتازت طيّارات الشركة ٦٠٠٬٠٠٠ كيلومتر بنيّف

ولكل من شركات الطيران السابق ذكرها جداول مطبوعة لمواعيد قيام وورود

الطيارات ولنفقات نقل الاشخاص والبريد والامتعة والبضائع . وكل ذلك ناطق بسرعة ترقي تلك المواصلات الجديدة

ولكي يقف قرّاء المشرق على بعض تفاصيل تلك الاسفار الجديدة ويتحققوا جزيل فوائدها وجميل مستقبلها رأينا ان نحدّثهم هنيهةً عن التي تجري الآن يوميًّا بين لندرة وباريس وهما كما لا يخفى اعظم العواصم الاوربية بل اكبر مدن العمور اذا ضربنا صفحاً عن نيويورك وحدها فان لها المقام الثاني بعد لندرة

تقوم الآن كما مرَّ بك شركتان بنقل المسافرين هواء بين باريس ولندرة واحدة انكليزية والاخرى فرنساوية وكلتاهما تتنافس بقوة الطيارات ومهارة سوّاقها وفاخر مراكبها اي المخادع المعدَّة للسيَّاح المغلقة من كل جانب كما في القطارات . فهي مفروشة باجمل الاثاث ومدفأة على الدوام بحيث لا يشعر الركّاب بادنى برد مع ان الطيّارات ترتقي احياناً الى علوّ نحو ١٧٥٠٠ متر

هلمَّ بنا الآن لنلقي نظرة سريعة الى بعض ظروف الاسفار اليومية بين باريس ولندرة فيقف القرّاء بذلك المثل على كيفية السياحات الجوّية عموماً

من يقصد السفر من باريس مثلاً يذهب الى مكتب احدى الشركات في العاصمة الفرنساوية فيدفع ثمن تذكرته بعد الاطلاع على كل المعلومات المفيدة . وفي اليوم المعين تنقلهُ احدى سيَّارات الشركة الى محطة الطيران الواقعة على مسافة نحو ستة كيلومترات من باريس في بقعة اسمها بورجه (Le Bourget) . وقد أُطلق على المحطة اسمان ظريفان وهما المحطة الهوائية (aérogare) والميناء الهوائية (aéroport) وكلاهما جاري الاستعمال . ولا مراء ان الثاني اغرب واجمل من الاول مع انه لا يخرج عن دائرة الحقيقة كما يتَّضح للمعتبر . والحق يقال ان محطة باريس الهوائية تفوق جميع رصيفاتها الاوربيَّة بحركة طيّاراتها واليك عددها لسبعة الاشهر الاولى من السنة المنصرمة :

كانون الثاني (٢٠٠) شباط (٢٧٠) آذار (٣٥٠) نيسان (٥٠٠)
ايار (٧٠٠) حزيران (٩٠٠) تموز (٩٥٠) الخ

تلوح سرعة الترقي لاول وهلة من محض تلاوة هذا الاحصاء فقد زاد عدد السفن الهوائية الراسية شهرياً في ميناء بورجه من ٢٠٠ الى ٩٥٠ نعني بنسبة ١

الى ½ ٤ وذلك في مدة سبعة اشهر ليس الّا. أفليس هذا من العجب العجاب وهو ايضاً خير كفيل برواج تلك الاسفار في المستقبل القريب ؟ هذا ولم نتوقف على وجود بقية هذا الاحصاء لآخر السنة ١٩٢٠ ولما مضى من السنة الحالية الّا اننا على يقين من مواصلة النموّ المشار اليه

ولاحظ يا رعاك الله ان الارقام السابقة مختصة بمجرد الطيارات القائمة بالاسفار بين باريس وغيرها من عظيم المدن الاوربية على وجه منتظم على الاقل وكثيراً ما يجري يومياً (راجع الجدول السابق) والحالة هذه لا تجد في ذلك الاحصاء ادنى اثر للطيارات الواردة من مدن فرنساوية قريبة او المنطلقة اليها ولا للآتي يُقصَد منها مجرّد «النزهة الهوائية» فتأمل !

امّا سبب تفوّق محطة باريس الهوائية على كل مزاحماتها فهو موقع العاصمة الفرنساوية في ملتقى اهمّ الطرق الجوية في كل العمور وهي الواصلة اليوم او المزمعة ان تصل غداً اوربة بأفريقية . واميركة باوربة . وهذه بآسية . وشمال اوربة بجنوبها وشواطئ المتوسط . ولذلك ترى ذوي الفكر البعيد من الفرنساويين يبنون على مستقبل محطة باريس اطيب الآمال لرواج كل مصالح بلادهم بل لانتشار التمدّن والنفوذ الفرنساوي في مشارق الارض ومغاربها

والآن حيث ادرك القرّاء خطير شأن تلك المحطة الهوائية المركزية للعالم اجمع نورد لهم وصفها على جناح السرعة اذ نحن في الطيران والطيّارات اشتان ثم اشتان ما بين هذه المحطة ومحطّات السكك الحديدية في المدن الكبرى وهي في الغالب بنايات طويلة عريضة شامخة فخيمة يقف المرء مبهوتاً لدى مرأى عظمتها وجلالها . امّا في محطة بورجه فانك تكاد تُحصي حجارة ابنيتها لقلة العمارة

وهناك تمتع ناظريك بمشهد سهل فسيح منبسط امامك وترى في بعض جهاته طيّارات تُراح من عناء شوطها المُنهِك فيخيّل لك انها طيور جبارية عائدة من مهجرها وراء البحار الى تربة الوطن العزيز في غرّة ربيع ساطع الانوار باسم الازهار . ثم اذا رفعت مقلتيك ونوت الى طيّارات أُخر محلّقة على مسافات متباينة فمنها الوافد ومنها

الراحل . وحول السهل ترى كثيراً من مستودعات الطيارات (١ (hangars) مصطفة كالجنود ولها سقوف واطئة وابواب في غاية العرض . اما بناية المحطة نفسها فهي عبارة عن بعض ردهات صغيرة متلاصقة هي اشبه بالاكواخ منها بدور المدن فقد شيّدت بالخشب من باب الاقتصاد والاكتفاء موقتاً بالضروري الذي لا بدّ منهُ . والحق يقال انك تجد فيها كل ما انت في حاجة اليه فهناك مطعم يقدّم لك ما كولات شتّى شأن كل المحطات الكبرى . وهناك ردهة الجمرك حيث تُلصَق الوُرَيقات المعروفة من الجميع على الأعكام . وهناك ايضاً مكتب جوازات السفر فلسنا لننسى اننا في الميناء الهوائية لباريس . وهناك اخيراً محلّ للبريد الجوّي السائر الآن على قدم وساق وترى الراحلَ معلقة امامك تنبئك بمواعيد وصول وانطلاق الطيّارات في ذلك اليوم مع بيان وجهة «السفن الهوائية» الراحلة

ومن مزايا هذه السياحات على غيرها انّك لا تحتاج الى ابقاء امتعتك معك ولا يخفى على المتعوّدين الاسفار الطويلة ما في ذلك من فرط العناء . امّا هنا فيأتي احد العمّال ويأخذها منك مقابل وَصلٍ وينقلها الى المحلّ المعدّ لها في مؤخر جسم الطيارة المعروف عند الفرنساويين باسم fuselage وترجمته «الغزلية» وقد سُمّي هكذا باعتبار شكلهِ المستطيل الدقيق نِسبياً . ومتى وصلت الى منتهى سياحتك اتى مستخدم آخر واعاد اليك ازاء وَصلك كلّ الامتعة . فتُعتَق من همّها طول السفر

ثم ان السهل الرحيب مقسم الى قسمين يحيط بكل منهما حاجز فالاول مختصّ بالرحيل والثاني بالوصول وتعلو كلّ واحد كتابةٌ طويلة عريضة واضحة لكل ذي عينين تدلّ على غايته دفعاً للالتباس الشديد الخطر في الطيران

أصغِ الآن يا رعاك الله الى ما يجري قبل انطلاق كل طيارة من العمليات التمهيدية المقصود منها تأمين السفر ضدّ كل الطوارئ الممكن ملافاتها . ترى اوّلاً الميكانيكي الساهر على المحرّكات يقلّب عينيهِ في كل اجزائها من دواليب ودفّاعات او رفّاصات ومخازن البترول واسطين مواقدهِ الى غير ذلك من الاعضاء الجوهرية التي يجرُّ ادنى اختلال فيها البوارَ العاجل . ويجري هذا الفحص الدقيق تحت مراقبة

١) من اغرب ما قرأنا بشأن ترقي الطيران ابتكار مستودع على شكل خيمة متحركة خفيفة نسبياً تحملها الطيّارة حيثما اتجهت وتفرجها اينما حطّت للالتجاء اليها

السائق او الرّبان (pilote) الموكول اليه تدبيرها في فضاء الجوّ

واثناء ذلك ترى منطادَ التجربة الخفيف صاعداً فوق المحطة في طبقات الجو فتزيد او تنقص سرعتهُ في كلّ منها ويحيد كثيراً او قليلاً عن الخط العامودي بحسب شدّة الريح ووجهته في كل طبقة. ويلاحظ كل هذه التفاصيل شخصان احدُهما يتبع المنطاد بنظارته والآخر بيده كرونومتر وهو ساعة في غاية الضبط يقيّد بواسطتها الوقت المستغرَق في اجتياز منطاد التجربة لكل من الطبقات. فبفضل هذه العملية يتمكّن السائق المطّلع على نتائجها من احكام تسيير الطيّارة مهما كان ارتفاعها اثناء السياحة ولاسيّما انهُ يواصل ما استطاع طول مدّة شوطه ملاحظة الاحوال الجوّية بمساعدة الموازين المختلفة كميزان ثقل الهواء والحرارة والرطوبة والريح التي هي تحت نظاره

كل كلامنا حتى الآن يدور على محور الامور العرضيّة في حكم المتروّي اما الجوهر في السياحات الجوية فهو الطيّارة بدون مراء. فلا مندوحة لنا من وصف احدى الطيّارات الفرنسوية من طرز « جُليات » وهي من اقدر التي تقوم بنقل المسافرين من باريس الى لندن وبالعكس. ولعلّ القارئ اللبيب يرجم بالظنّ انها وُسمت باسم الجبّار الشهير في تاريخ اليهود نظراً الى عظمها ولمخطّطي المرمى. فانّ عرض جناحيها المنبسطين يبلغ ٢٨ متراً وطولها ١٤ متراً. ولها محرّكان مركوزان على جانبي جسم الطيّارة او « المنزلة » وقد نيطت بها المركبة المستطيلة المغلقة من كل جهة المحاطة بالنوافذ الزجاجيّة والمدفأة صيفاً وشتاء. هذه مختصة بالركاب وترى بها صفّين طويلين من المقاعد الفاخرة المصنوعة من الخيزران طلباً لمعظم الخفّة. فمتى جلس المسافر على احدها تمتّع من النافذة التي على جانبه الايمن والايسر بمشاهد فتّانة تتبدّل على الدوام من رهاد وهضاب وجبال وسهول وانهار وبحار هيهات ان تجاريها مناظر السكك الحديدية

أما إحكام درجة التدفئة اللذيذة فكفى شاهداً عليه انّ كثيراً من السياح يخلعون معاطفهم طول مدة الطيران لئلا تثقل عليهم وطأة الحرارة مع انهم يرتقون احياناً الى ٤٥٠٠ متر ونيّف. أما السائق والميكانيكي فانهما يجلسان في اعلى جهة « المنزلة » المتوسطة فهو انسب مكان لادارة السفينة الهوائية كما يتضح

وثقل « جليات » فارغاً ألفا كيلوغرام ويقدر على حمل ٣٠٠٠ غيرها من مسافرين وامتعة وبضائع ومن وقود. وسرعتهُ في الساعة نحو ١٦٠ كيلومتراً فهي ضعف سرعة

القطارات المستعجلة وتمكنه من قطع ال ٣٧٠ كيلومترًا تقريباً الفاصلة بين محطة بورجه التي وصفناها (١ ومحطة كرويدن (Croydon) من ضواحي لندرة في ظرف ساعتين وثلث (٢ . ومعلوم ان السفر المعتاد يستغرق على الاقل ثماني ساعات فتأمل! . ولا يخفى ما في الاسفار الارضيَّة والبحرية من ضروب العناء كرَجّة القطارات ودخان مداخنها ودُوام البحر ودوخته والانتقال من القطار الى الباخرة ومن هذه الى قطار آخر بقطع مسافاة تُذكر ترجّلًا وبتجشم الانتظارات المملّة الذاهبة بمؤونة الصبر . فلا اثر لكل تلك العوائق والشرور في السياحات الجوّية فضلًا عن عجيب سرعتها وبديع مناظرها ومُنعش هواء طبقات الجوّ العليا وهو يكاد يشفي المدنف ويجدّد حياته !

اخيرًا ان سرعة صعود « جليات » تبلغ كيلومترًا في اربع دقائق ليس الّا مع انه لا يقوى على الارتقاء عامودياً كما هو معلوم من القاصي والداني فما ادهش تلك السرعة حيث تقدّره على الصعود بك الى قمة جبل صنّين بعلو ٢٤٦٠٠ متر في ظرف عشر دقائق و ٢٤ ثانية !

ومن أبدع ما يجتلى السياحات الجوّية ان سائق الطيارة يُصعدها او يُحدرها في الجو وهي طوع بنانه ليمتّع المسافرين اكمل تمتُّع بمناظر الطبيعة فيتلي مثلًا فوق الغابات العظيمة ليمكّنهم من شمولها بنظرة واحدة وينخفض لدى المرور بالمدن ليتمتعوا بمشاهدة اهمّ بناياتها الفنّية ومجالي حياتها اليومية

وبعد التلذُّذ بتلك الرؤى الفتانة والتحليق في علوّ لا ينقص معدّله عن نحو الف

---

١) مدة السفر في الواقع ساعتان ونصف لما في معظم السرعة من المحاذير وقد توصلوا الى جعلها ساعةً و ٥٠ دقيقة بسرعة نحو ٢٠٠ كيلو متر في الساعة

٢) ولا بدع فان لجليات مأثرتان هما من اجل التي سجّلها تاريخ الطيران . الاولى انه طار من باريس الى ميناء دكّار الواقعة في اقصى غرب افريقية تقريباً وذلك من ١٠ الى ١٦ آب سنة ١٩١٩ فكان لهذه المعجزة صدى إعجاب وتحميذ في افئدة كل الفرنساويين . وقد قام بها وبما يليها اللبوتنان بوسوترو (Bossotrot)

اما الثانية فهي الطيران بدون توقف مع ٨ ركاب من باريس الى كازابلنكا في مراكش . والمسافة بينهما عبارة عن نحو ٣,٢٠٠ كيلومتر وقد اجتيزت في ١٧ ساعة و ٥٠ دقيقة تعني بسرعة نحو ١٢٦ كيلو مترًا في الساعة ولم يأت بمثل هذه المأثرة احد الطيارين الفرنساويين حتى غرة سنة ١٩٢٠

متر تنزل الطيارة نزلة فجائية ولو انها غير مزعجة ولا خطرة فتنحط على تربة محطة كرويدن من ضواحي لندرة برشاقة النسر الواقع بعد حومة طويلة على صخرة جذبته بناصع صفرتها الذهبية . فيكاد السائح لا يصدق انه هبط من مملكة الهواء الى مُلك الثرى مع ان باب مركبته قد فُتح وسُلّم النزول الى الارض رُكز على عتبته . ولا بدّ من هذا السلّم حيث للطيارة دواليب تجري بها على الحضيض بغاية السرعة لتستطيع الارتفاع في الجو . ومتى انحدر المسافر من سفينته الهوائية وتزوّد منها بنظرة الوداع مبشراً نفسه بأفراح العودة فانه يقدم جواز سفره ويعرض امتعته لعامل الجمرك بمحطة كرويدن وعند خروجه منها يركب السيارة المعدّة له ولرفقائه وهي تقلهم الى العاصمة الانكليزية في نحو عشرين دقيقة . فلا يزال يردّد في مخيلته ذكر تلك السفرة العجيبة الآخذة بمجامع قلبه ويودّ لو ان كل سياحاته تجاريها ولو نوعاً في السرعة والراحة والتمتع

فيتضح من مقالتنا هذه على السياحات الجوية المنتظمة بالطيارات ولاسيما بين باريس وبعض حواضر المدن الاوربية خصوصاً لندرة ان تلك الاسفار ادركت اليوم رقياً يضمن لها مستقبلاً مجيداً . ومع ذلك يُخشى عليها في رأينا من مزاحمة المناطيد من طرز زبلين فهذه وحدها تقدر الآن على حمل مئات من الركاب وعشرات آلاف الكيلوغرامات من البضائع بسرعة نحو ١٢٠ كيلومتراً التي لا تقلّ كثيراً عن السرعة الجارية في الطيارات كما مرّ بك . والحالة هذه فمزيّة المناطيد الزبلينية قدرتها العظيمة ومزيّة الطيارات خفتها المدهشة فلكلّ منهما حينئذٍ وظيفته في تسهيل وتعجيل المواصلات الدولية . ولا نرى امكان الاستغناء المطلق عن المناطيد ما لم تُجارها رصيفاتها في القوة وشتان ما بينهما الآن من هذا القبيل

ولعل خير الادلة على صحة رأينا هو الحادث الآتي (١ وهو ان المدير العام للشركة الصانعة للمناطيد الزبلينية اتفق في الشطر الثاني من سنة ١٩٢٠ مع رهط من اكبر المتمولين في اميركة الشمالية لانشاء سياحات منتظمة في الاتلنتيك بين اوربة والولايات المتحدة . والمدير المشار اليه صرّح لهم بمقدرته على صنع منطاد جديد الطرز

١) قد ذكر المشرق جوهر ذلك الخبر في عدد آذار المنصرم بالصحيفة ١٩٦

يستطيع نقل ٥٠٠ راكب ونحو ٨٢ طنًا من البضائع وعبور الاتلانتيك ثلاث مرّات يعني اجتياز مسافة نحو ١٨،٠٠٠ كيلومتر بدون تجديد مؤونة وقود محرّكاته البالغ ٦٠ طنًا من البنزين وبسرعة نحو ١٣٠ كيلومترًا في الساعة تمكنه من قطع المسافة الفاصلة بين القارّتين في اقلّ من يومين . فتأمل !

٢ نقل البريد بالطيارات

هذا النقل هو الفائدة الثانية العظمى التي تجنيها الآن بعض الدول الكبرى من الطيارات لتعجيل المواصلات البريدية بين حواضر مدنها . ومن البديهي الذي لا يختلف فيه اثنان ان الطيارات لا تخشى هنا مزاحمة المناطيد فان المعوّل في هذا النقل على السرعة وخفّة الحركات ليس على القدرة وذلك نظرًا الى قلّة وزن البريد حتى في العواصم ولاسيما اذا كاد ينحصر في الرسائل كما هو الآن

قد سبق لنا القول (راجع الصحيفة ٦٤٧ من عدد ايلول لسنة ١٩٢٠ من المشرق) ان اوّل نقل بريدي بالطيّارات على وجه منتظم كان بين تولوز (فرنسة) وبرسلونه (اسبانية) . ومن ذلك العهد ما زالت هذه الطريقة المبتكرة الجليلة الفوائد تمتدّ وتوسّع نطاقها ولعلّها ادركت في الولايات المتحدة اوج عزّها الحاضر . الامر الذي حدا بنا الى وصف بعض ما بلغت اليه في بلاد « العمّ سام » من غريب الترقي المنبئ بقرب تعميمها في كل اقطار العمور

وما ادراك يا صاح مقدار رواج البريد الطائر هناك ؟ كان يصل في غرّة هذا العام بين نويرك وسان فرنسسكو ماراً بمدن ذات شأن مثل كلافلند وشيكاغو وأوماها وسُلت لِك سِتي (Salt Lake City) . وخلاصة القول ان هذا الخط البريدي يجتاز كل عرض الولايات ذاهباً من اقصاها شرقاً الى اقصاها غرباً . وطولهُ يبلغ نحو ٤،٢٠٠ كيلومتر فيكاد يساوي المسافة بين نويرك وليفربول وهي زهاء ٥،٠٠٠ كيلومتر

وعلاوة على هذا الخط الجياري أنشئت عدّة خطوط ثانوية تربط اهمّ نقطة بالمدن الكبرى الخارجة عنهُ فمنها ما يصل نويرك بفيلادلفية ثم واشنطن — وشيكاغو بمِنِيبوليس (Minneapolis) — وشيكاغو بسان لويس

كانت اوائل هذا البريد الجوّي في منتصف ايار سنة ١٩١٨ وعلى حداثة عهده قد نقل في العام الماضي مائة مليون رسالة ! وذلك تقريباً عدد رعايا الولايات . اما سرعتهُ وجليل خدمه فحدّث عنها ولا حرج . كانت المسافة بين نويرك وسان فرنسسكو ٩٠ ساعة ونصف بالقطار فهبطت الى ٣٥ ساعة اعني نحو ثلث طولها بفضل الطيارات . وكانت بين نويرك وشيكاغو زهاء ٢٤ ساعة و ٢٠ دقيقة فقصرت حتى تسع ساعات ونصف وقس على ذلك في بقية الاحوال وانت تعلم ان قطارات الولايات لا ندّ لها في الخافقين من جهة السرعة — وكذلك الاقتصاد في النفقات عجيب ايضاً فقد نقصت مصاريف «البريد الطائر» عن مصاريف البريد المعتاد بمبلغ ٤٢،٥٠٠ دولار في الخط بين واشنطن ونويرك وبما يفوق ١٠٠،٠٠٠ دولار في الخط بين نويرك وشيكاغو . فما اجل الاقتصاد مقروناً بسامي المزايا المُنزّه بها آنفاً !

وقد دفع هذا النجاح الباهر الحكومة الاميركية الى انشاء خطين بريديين جديدين هما الآن على غاية الانتظام . الاول بين مدينة كيوست (Keywest) الواقعة في طرف شبه جزيرة فلوريدة وبين جزيرتي كوبة وهافانة الغنيّتين بانواع المحصولات كما هو مشهور . فالبريد الطائر يسبق البواخر على هذا الخط باربع وعشرين ساعة — والثاني هو الواصل بلدة سيتل (Seattle) الواقعة في الولايات بمينا، فيكتورية الكنديّة التي ترسي بها مئات من بواخر الشرق الاقصى اليابانية والصينيّة الخ . فبريد تلك البلاد يصل الى داخل الولايات بربح ٢٤ ساعة ايضاً بواسطة هذا الخط الثاني . وفي نيّة الحكومة نشر مثل تلك الخطوط البريدية الجوّية في طول البلاد وعرضها تعميماً لفوائدها الجمة . قال السيو بريغر (Praeger) المعاون الثاني لمدير البريد العامّ في الولايات منوّهاً بالخدم العظيمة التي تقوم بها الطيارات : « كل طيارة بريدية تحمل ما يتراوح بين ١٨٠ و ٧٢٥ كيلوغراماً من الرسائل في كل شوط ويحدث هذا النقل على اكمل ما يرام من الانتظام ٩٠ مرّة في المائة وقد جاء الاقتصاد في النفقات مصوّباً لادارة البريد في انشائها الخطوط الجوية واتزالها بدل النقل الى سنتين (١ (two cents) عن كل ٢٨ غراماً على وجه التقريب » . وكفى شاهداً على حسن تقدير حكومة الولايات للبريد الطائر انها تعدُّهُ سنوياً بمبلغ ١،٢٥٠،٠٠٠ دولار معيّنة له

١) البنت يساوي خمسة سنتيمات من العملة الفرنساوية

في الميزانيّة ليقوم بوظيفته الحيوية خير قيام. ثم ان مجموع طول خطوطه كان بالغاً في غرّة هذا العام نحو ٥٠٥٣٦ كيلومتراً منها نحو ٤٠٢٠٠ في الخط الاكبر الواصل نويورك بسان فرنسسكو كما مرّ بك

ولما اقترح من زمن قريب بعض الجهلة على ندوة واشنطن — المسيطرة على كل الولايات بسلطتها الاشتراعية كما لا يخفى — إلغاء البريد الجوّي ونفقاته الطائلة قام وقعد سوادُ نوّاب الأمة وأبوا قبول طلبه باكثريّة الاصوات: وقالت احدى امهات الجرائد الاميركية النويورك تيمس (Newyork Times) وقد حمي وطيس جدال الصحافيين في هذا الموضوع قولاً حكيماً نترجمه حرفياً: « اذا ألغيت مساعدة الحكومة المالية فستهبط الولايات الى ما دون الصين في نقل البريد فالصين قد انشأت خطاً جوياً دائماً بين پاكين وتيان تسين (١ »

هذه لمعة وجيزة في ترقي البريد الطائر آثرنا فيه اميركة على غيرها اذ لاح لنا كالشمس في رابعة النهار ان الترقي هناك اعظم بدون قياس منه في سائر الاقطار خصوصاً بالنسبة الى طول الخطوط وشدة حركتها التي برهنت عليها ارقام عديدة سابقة

وقد اعلم الشرق قراءهُ (راجع الصحيفة ١٩٦ من عدد آذار الاخير) انه كما نوت انكلترة انشاء محطات للطيران بين القاهرة ومستعمراتها في جنوب افريقية هكذا تفكر في انشاء بريد جوّي بين عاصمتها واميركة الجنوبية على طريق باريس فمدريد فرباط في مراكش فمستعمرة غمبيا في غرب افريقية الوسطى فبناء برنمبوك في البرازيل بعد عبور الاتلنتيك. وطول هذا الخط الجباري الذي ليس له مثيل حتى الآن سيكون نحو ٨٠٠٠ كيلومتر وذلك يساوي خُمس دائرة الكرة الارضية!

فكل هذه الحوادث وكثير مثلها كافلة بتعميم البريد الجوي في المستقبل القريب لأنّ فيه مع نقل المسافرين خدمتين جليلتين يقوم بهما فن الطيران الحاضر الأ ان الاولى هي الآن على الاقلّ اشد خطورة بدون قياس بل يرجح امتناع مجاراة الطيارات في هذا الميدان. امّا الآخر — نعني ميدان السياحات الجوية — فلا تزال المناطيد والطيارات تتسابق فيه كفرسي رهان ولا نرى وجه امكان الجزم بان لاحدهما افضليّة واسبقية مطلقة على الآخر حيث تفرّد كل منهما بكمالاته المشروحة آنفاً

(١) المسافة بين هاتين المدينتين لا تزيد عن نحو ١٥٠ كيلومتراً

ومن العجب العجاب وما كذّب انتظار الفنيّين انفسهم ان الطيران العصري يقوم بخدمتيه الجليلتين باخطار اقل كثيراً من التي تودي بحياة الناس في القطارات والسيارات مثلاً. والحجج الدامغة لاثبات ذلك هي الاحصاآت التي ورد منها شيء غير يسير في عدد آذار من المشرق (الصحيفة ١٩٦). فنحيل اليها القارئ هرباً من الاعادات المملّة التافهة. ونزيد عليها الاحصائين الآتيين: اولاً لم يبلغ عدد القتلى في كل خطوط البريد الاميريكي الموصوفة سابقاً سوى الثانية وذلك من نشأتها في ١٥ ايار سنة ١٩١٨ الى غرة سنة ١٩٢١ رغماً من كونها تطير بغض النظر عن حالة الجو ولو عصفت اشدُّ العواصف. ثم ان كثيراً منها كان مستخدماً في الحرب مصنوعاً لها ثم أُجري فيها بعض التغييرات بقصد توفيقها لنقل البريد. غير انها لم تزل مع ذلك مشوبة بنقائص تُعرّضها لاخطار اكثر (١ — ثانياً ان جميع الطيّارين المُلكيين الفرنساويين اجتازوا من غرّة كانون الثاني الى منتصف تموز من العام المنصرم نحو ١،٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر اعني نحو ٣٢ مرّة دائرة الكرة الارضية ومع ذلك العدد الهائل لم تسفر كل الطوارئ التي اعترتهم في تلك السبعة الاشهر الا عن خمسة قتلى وسبعة جرحى. فايُّ شركة ملاحة او سكك حديدية او سيارات تقدر ان تنافس الطيّارين بأمن اسفارها استناداً على مثل الاحصاء الاخير؟

اليس من الغرابة بمكان ان ركوب جواد الريح الحرون العاتي غدا اليوم آمن من خوض الدأماء بل من نهب الفضاء على صعيد الغبراء!

ويزيد تعجبنا زيادةً عظيمة اذا انتبهنا الى قصر المدّة التي نال في منتهاها الانسان ذلك الانتصار الشريف الباهر الذي فتح به مملكة الهواء المنيعة فطاف بسرعة السهم المرشوق في كل رحابها مشرقاً ومغرباً بأمن اعظم تمّاً لو تجوّل بهذه السرعة في انحاء ملكه القديم. فلم يبرح من ذهن القرّاء ان الطيران لم يخرج قبل سنة ١٩٠٦ من دور التجارب المُودية بحياة مئات من راغبيه المتفانين في رفع لوائه وهناك جدولا فصيحاً في وجازته يريك عظم ترقّي هذا الفن من ذلك العهد حتى غرّة هذا العام:

١) لانكلترة ايضاً كثير من الطيارات القديرة المعدة في الحرب لرمي القنابل وقد حُوّلت اليوم الى طيارات ملكية تجارية وبعضها يقوم بنقل المسافرين بين لندرة وباريس

	سنة ١٩٠٦	سنة ١٩٢٠
مُعظم السرعة في الساعة	٤١ كيلومترًا	٣٠٠
اطول شوط بدون توقف	٢٢٠ مترًا	١٩١٥ كيلومترًا
اطول مدة الطيران	٢١ دقيقة	٢٤ ساعة و ٤٢ دقيقة و٤٥ ثانية
معظم الارتفاع في الطيران	٤٥٣ مترًا	فوق ١٠،٠٠٠ متر

فلا نتمالك عند مشهد ذلك النصر المبين المكلل جبين المرء سلطان الكون المادي بتاج من اشرف واجل تيجانه ان نصعد آيات الثناء والتعظيم الى سلطان السلاطين الباري عزّ وجلّ الذي زان الانسان بالعقل وجعل بيده عن لطفٍ وتنازُل عجيبين صولجانَ الملك المطلق على كل ممالك العالم الهيولي !

قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمّة)

(12) قال الراوي: فلمّا سمع سليمان الملك هذه الابيات صرخ صرخةً ووقع مغشيًّا عليه ساعةً زمانيّة. فلمّا افاق من غشيته جلس على سريره وقال: يا آصاف قد طُفت مشارق الارض ومغاربها فما نظرتُ مثل هذا القصر ولا احسن منهُ ونظرتُ انّ صاحبهُ كان لبيبًا عاقلًا فيا ليتني كنتُ رأيتهُ وعرفتُ كيف كان حديثهُ ثمّ انهُ مشى حول السرير واذا مكتوب على جوانبهِ هذه الابيات :

سَلِ الملوك اذا وافت منيّتهم ... اين الجنودُ واين الخيلُ والحَوَلُ
اينَ الفوارسُ والنلمان ما صنعوا ... اين الصوارمُ والخطّيّةُ السُّمُلُ
هيهات ما منعوا ضيمًا ولا دفعوا ... عنهم أذًى نجيبًا وافاهُ الاجلُ
الى القبور وضيق اللحد قد نزلوا ... رهنًا بما صنعوا يومًا وما عملوا

قال الراوي: فجعل سليمان يدور في تلك القبّة ويتعجّب من بنيانها (12) وبينما هو دائر رأى بركةً عظيمةً في وسط القبّة وسمع في اعلاها ضجيجًا وصياحًا فرفع رأسهُ

	سنة ١٩٠٦	سنة ١٩٢٠
مُعظم السرعة في الساعة	٤١ كيلومترًا	٣٠٠
اطول شوط بدون توقف	٢٢٠ مترًا	١٩١٥ كيلومترًا
اطول مدة الطيران	٢١ دقيقة	٢٤ ساعة و ٤٢ دقيقة و٤٥ ثانية
معظم الارتفاع في الطيران	٤٥٣ مترًا	فوق ١٠،٠٠٠ متر

فلا نتمالك عند مشهد ذلك النصر المبين المكلل جبين المرء سلطان الكون المادي بتاج من اشرف واجل تيجانه ان نصعد آيات الثناء والتعظيم الى سلطان السلاطين الباري عزّ وجلّ الذي زان الانسان بالعقل وجعل بيده عن لطفٍ وتنازُل عجيبين صولجانَ الملك المطلق على كل ممالك العالم الهيولي !

قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمّة)

(12) قال الراوي: فلمّا سمع سليمان الملك هذه الابيات صرخ صرخةً ووقع مغشيًّا عليه ساعةً زمانيّة. فلمّا افاق من غشيته جلس على سريره وقال: يا آصاف قد طُفت مشارق الارض ومغاربها فما نظرتُ مثل هذا القصر ولا احسن منهُ ونظرتُ انّ صاحبهُ كان لبيبًا عاقلًا فيا ليتني كنتُ رأيتهُ وعرفتُ كيف كان حديثهُ ثمّ انهُ مشى حول السرير واذا مكتوب على جوانبهِ هذه الابيات :

سَلِ الملوك اذا وافت منيّتهم ... اين الجنودُ واين الخيلُ والحَوَلُ
اينَ الفوارسُ والنلمان ما صنعوا ... اين الصوارمُ والخطّيّةُ السُّمُلُ
هيهات ما منعوا ضيمًا ولا دفعوا ... عنهم أذًى نجيبًا وافاهُ الاجلُ
الى القبور وضيق اللحد قد نزلوا ... رهنًا بما صنعوا يومًا وما عملوا

قال الراوي: فجعل سليمان يدور في تلك القبّة ويتعجّب من بنيانها (12) وبينما هو دائر رأى بركةً عظيمةً في وسط القبّة وسمع في اعلاها ضجيجًا وصياحًا فرفع رأسهُ

فظهر لهُ اشخاص مختلفة الالوان ابدان بلا رؤوس ورؤوس بلا ابدان وبكاء وعويل في اعلى القبَّة . فصرخ سليمان من صحن القبَّة هو ومن معهُ ليزجرهم فلم يبطل الصراخ فزاد تعجُّبهُ وقال لوزيرهِ : يا آصاف ما هذا الصياح الذي اسمعهُ ؟ فقال آصاف : يا نبيَّ الله لا شكَّ انَّ بعض الجنّ ساكن هاهنا وقد غلب عليهم العصيان والتمرُّد

فعند ذلك دعا سليمان الملك العفاريت فحضر منهم في الحال مائتان وخمسون عفريتاً كأنهم النخل الشواهق وسجدوا بين يدي سليمان وقالوا لهُ : ما تريد يا نبيَّ الله ؟ فقال : اريد منكم بان تأتوني بمن يزعق في هذه القبَّة . فصعدوا وطافوا جميع القبة فما وجدوا شيئاً فحضروا بين يدي سليمان والصراخ لم يبطل . ثم انهم غابوا ثاني مرَّة فوجدوا حيَّة عظيمة (١٣) كأنها جمل وكانت من الجنّ فوقع العفاريت عليها وقالوا لها : ويحكِ يا حيَّة لماذا هذا الصياح والضجيج والصراخ والملك سليمان قد دخل هذا القصر ؟

ثمَّ انَّهم احضروها بين يدي سليمان الملك وقالت لهُ : السلام عليك يا نبيَّ الله . فقال لها سليمان : وعليك السلام . ثم سألها : ما هو الذي حملكِ على هذا الصراخ وانا داخل القبة . قالت لهُ : يا نبيَّ الله زعقتُ وصحتُ حتَّى تسمع صوتي وتطلبني فآتي بين يديك لاشتكي لك ما قد حلَّ بي من اهل هذا القصر ومن نكبات الدهر . فقال لها سليمان : ما اسمكِ ؟ قالت لهُ : اسمي النائلة . فقال لها سليمان : كم لكِ في هذا القصر ؟ فقالت : اسسهُ عليَّ كان وخرابهُ على يديَّ صار . فقال لها سليمان : وكيف خربتهِ واهلكتِ اهلهُ ولاي سبب صنعتِ بهم ذلك ؟ فقالت لهُ : انا اخبرك يا ملك الانس والجن (١٣ب)

اني قبل العمارة كنتُ تحت الارض فبدأ صاحب هذا القصر في بنيانهِ وكان صاحبهُ رجلاً جبَّاراً عظيم الشأن قوي السلطان . قال لها سليمان : وايش كان اسمهُ ؟ قالت لهُ : كان اسمهُ عاد بن شدَّاد بن تامر بن لود بن سام بن نوح عليهِ السلام . وكان عادٌ ذا بطش وهيبة فملك الدنيا باجمعها من اولها الى آخرها وبنى هذا القصر في ثلاث مائة سنة واتقن بنيانهُ واحكم هندستهُ ثمَّ ملأهُ بالجند والعساكر وكنتُ انا وبعلي ساكنين فيهِ مع اولادي . وبعد وفاتهِ قام غيرهُ في تعادي الزمان فجاء خدمهُ وهجموا

علينا فهربنا فجدُّوا في طلبنا وتبعونا الى خارج القصر وقتلوا اولادي الاربعة ونجوتُ انا وبعلي منهم

ولمَّا كانت السنة الثانية قتلوا لي ثلاثة اولاد آخرين فاشتدَّ علينا (٢٤) الألم وبقينا خمس سنين ما طلعنا من مكاننا وما رأينا ضوء الشمس من الحزن الذي اصابنا. ثمَّ من بعد ذلك خرجنا في بعض الأيام وهم في اكل وشرب وفرح وسرور. فلمَّا رأونا جدُّوا في طلبنا فهربنا منهم فلحقوا بعلي وقتلوه ونجوتُ انا منهم وبقيتُ وحدي متروية في مكاني ولم أرَ احدًا من القوم لأن أجل بعلي واولادي كان على يد هؤلاء القوم وليس لي حيلة في حكم الله معهم. ثمَّ اني أقمتُ على حزني مقدار عشرين سنة فظهرتُ على وجه الارض حتَّى خرجتُ في بعض الأيام الى مشارق الدنيا وهم في اكل وشرب وفرح وسرور فلمَّا رأوني جدُّوا في طلبي وانا هاربة منهم فلحقوني وانا داخلة في وكري فضربوني ضربةً شديدة فقطعوا ذنبي فألمني ذلك المأ عظيماً وبلغ مني الوجع حتَّى لم استطع اصبر عنهم ولا ساعة من عظم ما نابني منهم ومن (٢٤) فعلهم الرديء ثمَّ غلب عليَّ طبعي الخبيث في ضررهم فخرجتُ الى الماء الذي كانوا يشربون منهُ فنفثتُ فيه السم ثمَّ صرتُ ألدغهم وارمي سمّي في طعامهم حتَّى اهلكتُهم جميعاً وما بقي في القصر غير الذكر الذي في اعلاه

ولمَّا مرَّ عليَّ سنون واعوام كثيرة جاء ملك ومعهُ الف وزير وتحت يد كل وزير الفٌ من الاعوان فضجَّت بهم هذه الارض من كثرتهم فسكنوا في هذا القصر زماناً طويلاً ثم سلَّط الله عليهم جوعاً شديداً فماتوا باجمعهم وهلكوا وبقي القصر على حاله زمناً طويلاً. وبعد ذلك اتى الى هذا القصر عفريتٌ عظيم وكان اسمهُ الدَّغوة وهو من اولاد الشيطان ومعهُ من جنده مائة عفريت فجاء وسكن في هذا الصنم الذي كان يعبدهُ عاد واعوانهُ معهُ وهو الى الآن في هذا القصر (٢٥).

فلمَّا سمع سليمان الملك ذلك قال للحيَّة: قد عجبني حديثكِ وقد أشرحتِ قلبي من الهمّ والغم. ثمَّ قال لها: واين هو هذا العفريت؟ قالت لهُ: يا عظيم الملك هو في هذا السرداب تحت هذه المقصورة. فلمَّا سمع سليمان نهض قائماً وطاف القصر ولم يترك فيهِ مناوقاً الَّا فتحهُ ولم يترك باباً مفتوحاً الا اغلقهُ. فلما وصل الى باب المقصورة وجد مكتوباً عليهِ هذه الابيات:

حتّى متى تبتغي العلياء يا رجلُ ترجو الخلود فلن يبقى لك الاملُ
اراك ترفع بنيانًا تُحكمهُ وقد بنى قبلك الاسلافُ والأولُ
قد جمّعوا المال من حلٍّ ومن حرمٍ ولم يُردَّ القضا لمّا انقضى الاجلُ
فقال صاحبهم للقوم ليس لكم فيها مقامٌ فساروا بعد ما نزلوا
(15) اللهُ ربّي تعالى الله خالقُنا فانظر لنفسك قبل الموت يا رجلُ
وخذ من الزاد ما يُرضي جلالتهُ خيرًا وذلك تقوى الله والعملُ

قال الراوي: فبكى سليمان عند ما قرأ هذه الابيات ثمّ انهُ فتح تلك القصورة واذا هي من العقيق الاحمر وفرشها من البلّور الابيض وبينها العواميد من الذهب الابريز. فجعل سليمان يخطر الفراش ويعدّها حتّى عدّ عشرةً منها فوجد باباً من الحديد الصافي وعليهِ عقرب من الفضّة فتركهُ فانفتح لهُ باب سردابٍ تحت الارض فنظر سليمان الى باب عليهِ مكتوب هذه الابيات:

ألا بَعُدَ المولى لدارٍ تروحا كُفيتم بَلاَ الدنيا كُفيتم ظنونها
فما زالت الدنيا محلًّا لباطلٍ وللناس ارزاقٌ فيتكلونها

قال الراوي: فتعجّب سليمان من هذه الابيات وامر وزيرهُ آصاف (16) ان يكتبها ولم يزل يقرأها حتّى حفظها وانحدر الى السرداب فعدّ واحدًا وعشرين درجةً وكان مع آصاف شمعة فهبّ ريحٌ فاطفأها. فعند ذلك همّ سليمان بالرجوع فلم يعلم الى اين يمضي. وفيما هو كذلك اذ نظر ضوءًا من بعيد فقصدهُ ولمّا وصل اليهِ نظر واذا هما عينا ذلك الصنم تلوحان مثل البرق من فوق ذلك السريز. وكان الصنم مرصّعاً بالذهب وعيناهُ كدرّتين تشعّان وتلمعان في رأسهِ فقال سليمان: يا آصاف انظر هذا الصنم كأنهُ حيّ ناطق. فقال آصاف: يا نبيّ الله هذا الذي تراهُ طلسمات عملها ملوك الجبابرة من قديم الزمان

فعند ذلك دنا سليمان نحو الصنم فصار الصنم على كرسيّه وكان يدور كدوران (17) الرحى وصار يخرج من عينيه لهيب نار ومن مناخيرهِ دخان وكبريت وصار الصنم يرتفع الى اعلى القبّة ويظهر منهُ صياح وصراخ عظيم وصوت كصوت الصواعق والرعد وكان ينادي باعلى صوتهِ ويقول: «يا شياطين يا ابالسة ويا اهل الفتن والطغيان تعالوا هاهنا لقد اتاكم سليمان وليحضر اليّ اوّل الشياطين وجنودهُ فها قد حضر سليمان وهو يذلّكم ويفلّ جنودكم ويكسر اصنامكم ويهلك ملوككم

ويعذبكم . تعالوا حتى نقتلهُ ونخلص الانس والجنّ منهُ . فاجابهُ الحال مائة عفريت مردة وظهروا على سليمان الملك وكثّروا عصيانهم وبيّتوا عزمهم على مقاتلتهِ

فعند ذلك صرخ سليمان صرخةً عظيمة وقال لهم : الويل لكم يا جنود ابليس يا ملاعين يا ويلكم يا ملاعين يا عفاريت أتتمرّدون عليَّ ايضاً ولنا ملككم وسلطانكم والحاكم (١٦ظ) عليكم ومُذلّكم لانّ معي آيات الله العظيمة . ثمّ انهُ اومأ عليهم بالخاتم فوقع الصنم على الارض وغشي على الشيطان الذي كان ساكناً فيهِ وانهزمت العفاريت المتمرّدون . فزعق عليهم سليمان فوقعوا بعضهم على بعض ثمّ قاموا وصعدوا في الفضاء وبقوا هاربين يقتلون في الهواء

وبعد ذلك دعا سليمان وزيرهُ ودنا من كرسيّ الصنم وطاف جولهُ ونظر في ضوء الشمس واذا لوحٌ من الذهب عليهِ مكتوب هذه الابيات :

ستُزعجك المنايا في بَوارك ويُهلكك الردى بحذاء دارك
وتترك ما شقيتَ بهِ زماناً وتُنقَل عن غناك واقتدارك
فقدّم توبة تُحظيك عفوًا تجدْ عزًّا وتسعدْ في جوارك

قال الراوي (١٧ظ) : فبكى سليمان عند ذلك بكاء شديداً ثمّ انهُ تقدّم الى الكرسي فرأى من ورائهِ قبراً طولهُ خمسون ذراعاً وهو مرصّع بالذهب والجواهر الثمينة واصناف السَّبَج والعقيق الاحمر وجميع الاصناف من الياقوت والزمرُّد . فتأمّل ذلك سليمان وتعجّب غاية العجب . ثمّ تطلّع ايضاً فرأى عند رأس القبر لوحاً مكتوباً عليهِ هذه الابيات :

انا ابن شدّادَ المليكُ نجلُني الارض جمعاً وكلُّ مكانِ
فيَّ القبائل والجحافل والملا كلّ البلاد واهلها تخشاني
وجمعتُ مالاً ليس يُحصى وصفهُ وذخيرةً لنوائب الازمانِ
فاتاني الموتُ المفرّق للورى فنُقلتُ من عزّي لدار هواني
فندمتُ حتى لا تُفيد ندامتي اسفاً على فخري وعالي شأني
وقد رأيت جميع ما قدّمتهُ اني الرهينُ بهِ وكنتُ الجاني
(١٨ظ) فانظر لنفسك يا فتى قبل الفنا واحذر شديد نوائب الازمانِ

فقال الراوي : فعند ذلك بكى سليمان بكاء شديداً حتى انهُ بلّ لحيتهُ من الدموع ثمّ تقدّم عند رجلي الصنم فوجد لوحاً مكتوباً عليهِ هذه الابيات :

تزوَّد من الدنيا فانك راحلٌ قريباً لانَّ الموت لا شكَّ نازلُ
فعمرُك في الدنيا غرورٌ وباطلٌ وعيشك في الدنيا مُحالٌ وباطلُ

فلمَّا قرأ سليمان هذه الابيات نظر واذا لوح آخر مكتوبٌ عليهِ يقول « انا ابن شدَّاد بن عامر بن لود بن ارام بن سام بن نوح . قد بنيتُ الف مدينة على ترتيب هذا القصر وجعلتُ ارضهُ مسكاً وعنبراً وبنيتهُ لبنةً من فضَّة ولبنةً من ذهب وركبتُ في عمري الف جواد سوابق وملكت الدنيا شرقها مع غربها (١٣٠) وبرَّها مع بحرها وقمتُ الفاً من الملوك وتزوَّجت كثيراً من النساء وبعد هذا جميعه بقيت انا وحدي في هذه الدنيا الغرور فلا تغرَّنك الدنيا وشهوتها واعرفْ بيان مذموم فعلها ومن يركن اليها يكون طاغياً باغياً عاصياً لربِّهِ . فقد بان لي الآن اني بعد هذا جميعه لا اكلتُ ولا شربتُ ولا ملكتُ ولا فرحتُ ولا بنيتُ ولا عمَّرتُ ولا رحتُ ولا جئتُ . والآن بالله عليكم يا سامعون انَّ كلَّ من يتأمل فيَّ ويبصر ما حلَّ بي يعتبر بحالهِ فانَّ العاقل يعتبر بغيرهِ فتحلَّ عليهِ طاعة الله مولاه وبعد هذا جميعه اقول وانوح وابكي على نفسي بدموع لا تنشف :

عاوتُ على الملوك بكل امرٍ وفقتُ على الموالي في زماني
(١٤٠) وحاكيتُ التربَ في علاها وما انا في التراب كما تراني

قال الراوي : فبكى سليمان الملك بكاء شديداً لمَّا سمع هذه الابيات هو ومن معهُ . ثمَّ سجد على الارض وخرَّ على وجههِ قائلاً : المغرور بهذه الدنيا جاهل . ثمَّ انهُ خرج خارج القصر وقفل الابواب كما كانت واستدعى بالحيَّة والنسور وطيَّب قلوبهم ورتَّب لهم رواتب من اللحوم ثمَّ ارسلهم الى القصر وصرفهم الى حال سبيلهم ومضى ولم يلبس شيئاً من القصر لاهو ولا وزراؤهُ ولا عسكرهُ

ثمَّ ركب على البساط وامر الريح ان ترفعهُ فرفعتهُ وساروا ايَّاماً ولياليَ حتَّى وصلوا الى بيت المقدس هو ومن معهُ وهو حيران (١٤٠) ومتعجب من هذا القصر العجيب ومما رأى فيهِ ومن جواهرهِ الفريدة ومن عمارتهِ الفائقة العقول ثمَّ عاد يسبِّح الله العظيم المالك علينا دائماً امين

المذهب الدروينى واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

انتقاد مذهب التحوُّل والترقّي

١ التولد الذاتي

انَّ مذهب التحوُّل وتكوُّن الانواع بالنواميس الطبيعيَّة أدَّى بالمُتَمذهبين به شاءدروين ام ابى الى نكران العالم الفائق للطبيعة والى جحود الخالق والنفس المجرَّدة عن الهيولي . امَّا اصل الحياة على زعم هؤلاء المنتمين الى المذهب المذكور فهو من التولُّد الذاتي حيث اتَّقدت الشرارة الاولى من الحياة في بعض ذرَّات المادَّة الخالية منها سابقاً . ظهرت صدفةً في خليَّة من الخلايا ثمَّ نمت بعد ذلك وانتشرت

وهنا لا بُدَّ ان نستفتي كبار العلماء عن رأيهم في التولُّد الذاتي . اصحيحٌ هو يا تُرى ما يزعم البعض ان بعض الاحياء مهما كانت صغيرةً تولد دون جرثومة سابقة اي دون التناسل الطبيعيّ . فان ثبت ذلك امكن هكل ان يسند رأيهُ في اصل الحياة الى مبدإ شبيه بالحقيقة يحتل الصدارة نوعاً . امَّا اذا تبيَّن بطلان التولُّد الذاتي فيسقط مذهب هكل كبناء لا اساس لهُ . وهنا لنا ادلَّة مبنيَّة على الاختبار الذي ينفي كل التأويلات والمحاكمات

نقرُّ بان العلماء الاقدمين الى اواسط القرن التاسع عشر كانوا يقولون بحدوث التولُّد الذاتي ساندين زعمهم الى ما نراهُ كل يوم في المواد النباتيَّة والحيوانيَّة التي عند فسادها يظهر فيها الدود ثمَّ يتحوَّل الدود الى ذُباب . واذا فحصتَ تلك المواد بالمجهر رأيت الوف الالوف من الحيَّوينات البالغة الصغر المدعوَّة بالجَلَيَّات والميكروبات . فكان العلماء منذ ارسطو الى آباء الكنيسة وعلماء القرون المتأخرة ينسبون هذه المواليد الى التولُّد الذاتي

وقد ظهر بطلان هذا الزعم بما اكتشفهُ وقرَّرهُ بالامتحانات العديدة ذلك الجهبذ العظيم والنابغة الفرنسويّ الكبير لويس پاستور حيث اثبت ان الحيّ ايًّا كان يتولَّد

من حيّ سابق . وهذا المبدأ الجليل اثبتهُ في باريس مجمع العلوم الفرنسويّ بعد ان عيَّن لجنةً من العلماء الاختصاصيين لفحصهِ وبعد ان كثر القال والقيل بين المناقضين لهُ والمتشيّعين بهِ حتّى تحصحص الحقّ وزهق الباطل فاعلن المجمع المذكور حكمهُ بما نصُّهُ : « ان الكائنات الآليّة في حالة ارضنا الحاليّة تنال حياتها من احياء اخرى سبقتها الى الوجود وليس حيٌّ بينها كبيراً كان او صغيراً الّا وقد تناسل عن أجداد لهُ سابقة » ثمَّ عاد كاتب اسرار المجمع العلميّ المذكور مصرّحاً بقولهِ : « انَّ الامتحانات التي بلغ اليها العلّامة پاستور هي ثابتةٌ مقرّرة اذا نكرها احد دلّ بنكرانهِ الى انهُ يجهل القضيّة جهلاً مطبقاً »

والحقّ يقال انَّ الفضل في اكتشاف هذا الامر وتبيانهِ بالاختبارات المتقنة يعود الى پاستور الموأ اليهِ وقد تبعهُ في تكرار هذه الاختبارات اكبر علماء العالَمين فلم يَعُدْ احد يشكّ ببطلان القول بالتولّد الذاتي . وقد نتجت ايضاً عدَّة معلومات مما وجدهُ پاستور عن تولّد الكائنات الآليّة من جراثيم سابقة . كنسبة الاوبئة الفاشية الى جراثيم حيَّة وكسلامة الاطعمة من الفساد وكاتخاذ الاحتياطات الصحيَّة في العمليّات الجراحيَّة الخ

ومن هذه الاكتشافات ايضاً تولّد احد العلوم المستحدَثة علمُ الميكروبات او البكتيرولوجيا الذي مبناهُ على هذه الحقيقة « انَّ كلّ جرثومة تنشأ عن جرثومة سابقة من نوعها » . وقد دخلت هذه المعلومات في الصناعة كتربية دود القز واختبارات الخمور والجعة والجبن الخ وفي الطبّ لمعالجة امراض شتَّى تصيب الانسان والحيوان والنباتات الزراعيَّة

ليس تولّداً ذاتياً ! ذلك يعلن بهِ فنّ الجراحة فانَّ الجراحيين اذا باشروا عمليَّة ابتدأوا بالاحتياطات التعقيميَّة الراجية كالماء الغالي والقطن المعقَّم مع تعقيم الآلات الجراحيَّة والعناية بالنظافة التامَّة لئلّا ينال الجروحَ شيءٌ من أذى الجراثيم السابقة

ليس تولّداً ذاتياً ! هذا ما يجاهر بهِ الطبّ حيث يبحث عن الميكروب الخاصّ بكل علَّة وعن الوسائل لتخفيف وطأتها ان لم يستطع منع فشوّها

ليس تولّداً ذاتياً ! قد تحقَّقهُ فنّ الفلاحة وهذا ما ساعد الفلّاحين على معرفة الامراض المصيبة للكرمة والبطاطا والعلل الفاشية في دود القزّ والحيوانات الداجنة .

وكثيراً ما سبق العلماء وارشدوا الفلاحين الى الوسائط الكافلة بازالتها ومنع رجوعها

ليس تولّد ذاتي! كما اجمع عليه علماء الصحّة (الهيجين) . ألا ترى كثيرين من الحلّاقين يشرون اعلاناً على باب محلّاتهم عليه هذه الكلمة «تعقيم» ليطمئنوا زبائنهم ويقيدوهم انّ ادوات حلاقتهم معقّمة لا تنقل جراثيم وبائيّة من وجه شخص الى آخر. فتراهم قبل استعمالهم للموسى يعرضونها على شعلة نار قنديل لاستئصال كل جرثومة ضارّة . وفي عدّة بلاد قوانين تقضي على العطّارين والجزّارين باتخاذ الوسائل الكافلة بنظافة مبيعاتهم وذلك كلّهُ لما ثبت عند الجميع بانّ الاوبئة تنتج عن جراثيم سابقة الوجود

وخلاصة القول انهُ اليوم لم يبق رجل صائب العقل سديد الرأي يذهب الى التولّد الذاتي اللهمّ الّا بعض الماديّين تأييداً لزعمهم الباطل ويُشار اليهم بالبنان لتأخرهم عن حركة العلوم. وبذلك يسقط بناء المذهب الدروييني المشيّد على اساس واهٍ فيقضي على الناكرين لوجود الخالق احدُ امرين اما ان يقرّوا بهِ عزّ وجلّ وذلك ما يثبتهُ العلم واما ان يقولوا بالتولّد الذاتي وينغردوا في رأيهم الباطل عميهين في طغيانهم

ولعلّ هكل والمتشيّعين بزعمهِ يدّعون بانّ التولّد الذاتي قد بطل الآن وانما كان جارياً في الاجيال السالفة . هذا كلام بلا سند يرميهِ هؤلاء المتشدقون على عواهنهِ لا يستحقّ اعتباراً .

وقد حاول الدكتور هكسلي (Hexley) الانكليزي سنة ١٨٦٨ اثبات رأي هكل فادّعى انهُ وجد في قعر الاوقيانوس مادّةً اوّليّة نشائيّة دعاها باثيبيوس زعم انّ الحياة تتولّد فيها ذاتيّاً . فطبّل الماديّون الالمانيّون وزمّروا لهذا الاكتشاف اذ رأوا ذلك الهلام المنتزع من اعماق البحار فحسبوهُ اوّلَ جسم آليّ نشأت عنهُ الحياة وانتشرت في العالم. على انّ فرحهم هذا ما لبث الى ان آل الى خزي وعار واقرّ علماء الالمان في مؤتمر همبورج المنعقد سنة ١٨٧٦ انّ العنصر المزعوم عديم الحياة . وفي مؤتمر آخر عُقد في انكلترة سنة ١٨٧٩ اذ حاول احدهم ان يهنئ هكسلي عن اكتشافهِ المزعوم لاصل الحياة قام هذا ورفض تهنئتهُ قائلاً «انّ الباثيبيوس الذي ظننتهُ مصدر الحياة ليس هو شيئاً سوى راسب سلفات الكلس» . وباقرار هكسلي هذا لم يَعُد احد الى ذكر الباثيبيوس المشئوم

وما يستوقف النظر في هذه الكائنات الدقيقة والجراثيم والحلميات وما يدعوه العموم بالعفونيات انها ليست فقط متولدة من حيويات سابقة بل هي كلها انواع مستقلة ثابتة غير قابلة التحول من نوع الى آخر كما يدعي مشايعو دروين . ومن ثم يجب نبذ اراء الماديين وزاعمهم الباطلة في تولد الحياة ذاتيًا في بعض دقائق المادة وانتشارها تدريجاً في بقية الكائنات بتحولها من نوع الى آخر . وان صح ذلك في الوالد السفلى فما قولك بالنفس الانسانية ذات النطق والادراك أفيستطيع هكل وانصاره ان يرقوا أصلها الى المادة الجامدة . فليخزَ هؤلاء جحدة اللاهوت الذين لم يلتجئوا الى التولد الذاتي الا ليخلصوا من تكوين الخالق ويتنصلوا من تبعة واجباتهم نحوه تعالى كما اقرَّ بذلك هكل حيث قال : « لا مناص لتعليل وجود الحياة من احد امرين او القول بالتولد الذاتي وتحول المادة الآلية بتمادي الزمان او الاقرار بالاعجوبة (يريد بالاعجوبة تكوين الخالق للكائنات) . هذا ما كتبهُ دي سوري (de Soury) في شرحه مذهب هكل . ومرجع قولهم الى هذا المبدأ الغريب « اننا معشر الماديين في حاجة الى إثبات التولد الذاتي فنفضل القول بالمستحيل من الاقرار بوجود الله » زه ! زه

٢ الانتخاب الطبيعي

سقطت ترهات هكل في قدم المادة واصل الحياة الطوعي وما حمله الى مزاعمه الباطلة سوى بغضه لما يفوق الطبيعة . وفي ما سبق الكفاية لردّ ترهاته

ولعلَّ سائلاً يطلب منَّا قائلاً : « لقد ثبت لدينا بطلان اقوال هكل . ولكن ألا يمكن يا تُرى الانضواء الى مذهب دروين بقولنا معهُ انَّ الله خلق بادئ بدء بعض الانواع التي تحوَّلت بعدئذٍ الى انواع أخرى ؟ او يوجد في هذا الرأي شيء ينافي الايمان المسيحي او يردُّهُ العقل الصائب أو ليس هو بالحري رأياً راجحاً ؟ وما هو مبلغ رجوحه ؟ وهل يجوز ان نُعير بالًا لتلك العوامل التي يدعم عليه دروين رأيهُ اعني النزاع لبقاء الحياة وحاجة الكائنات الى بعض الاعضاء وعمل الوسط والوراثة وهلم جرًّا ؟ وهل اثَّرت تلك العوامل الزعومة في احوال النبات والحيوان الى ان ثبتت اخيرًا على الانواع التي نعرفها اليوم ؟ وخلاصة القول اذا نفينا زعم هكل في قدم المادة ونكران الخالق هل من داعٍ لقبول مذهب دروين وانصاره الذين يقرُّون

بوجود الخالق وانما يحصرون فعلهُ في تكوين بعض الامثلة الاوليَّة النباتيَّة والحيوانيَّة التي منها تولَّدت بفعل الزمان كلّ الانواع ؟

وهنا يجب تكرار ما سبقنا الى ايرادهِ اعني انَّ الاسفار المقدَّسة لم تصرّح بشيء ينفي اصلًا مذهب دروين اللهمَّ الَّا ما يختصّ بتكوين الانسان . وكذلك الكنيسة لم تبتّ حكماً في المسائل العلميَّة التي لا مناط لها بالدين وبعقائدهِ . لا مراء في انَّ الله هو خالق المواليد الثلثة الجماد والنبات والحيوان ولكنَّهُ تعالى امكنهُ ان يخلق جملةً او تباعاً بعض الامثلة النباتيَّة والحيوانيَّة فمكَّنها حسب الظروف ان تنتج بقوَّتها انواعاً جديدة على كرور الدهور فهذه القوَّة المودعة في الاصول الاوليَّة تعود اليهِ تعالى كما يجب ان تُنسب اليهِ الانواع والتحوُّلات الناجمة عنها

فبعد هذه المقدَّمات علينا ان نوضح رأينا في مبدأ دروين المتوقف على الانتخاب الطبيعيّ

اعلم انَّ دروين لاثبات قولهِ في فاعليَّة هذا الانتخاب الطبيعي استند الى ما يناله الانسان بحذقهِ من الانتخاب الصناعيّ اذ يوفّر اصناف النوع الواحد من النبات والحيوان الداجن . وقد بيَّنا سابقاً كيف اتَّصل الانسان بتوقُّد ذهنهِ وحسن نظرهِ الى ان يستخرج من بعض الانواع ضروباً جديدة من الزهور الزاهية والاثمار اللذيذة والجذور الغذائيَّة . كما انهُ توصَّل الى توليد صنوف عديدة من الحمام والدجاج والكلاب والخيل والشاء الخ وذلك بالتربية اعني بإجهاد فكرهِ في اتخاذ الوسائل لهذه الغاية لاسيما حسن انتخابهِ للمولدين . فاذا بلغت هذه الكائنات الى بعض الصفات التي قصدها الانسان ثبتت فيها واورثتها نسلها . فليت شعري ماذا يستطيع الدرويتيُّون ان يستنتجوا من ذلك غير هذه النتيجة الواضحة وهي قدرة الانسان بذكائهِ على تربية الحيوان او النبات ليصدرا بهيئتهِ بعض خواصّ ثانويَّة عرضيَّة ليس الَّا . ولكن هيهات ان يستولد بذلك نوعاً جديداً قائماً بذاتهِ ثابتاً في نسلهِ

وما يدلُّ على انَّ هذه التحوُّلات الناتجة عن عقل الانسان وهيئتهِ هي عرضيَّة انَّك لو تركت هذا النبات وهذا الحيوان بعد تربيتهِ الى غريزتهما الطبيعيَّة واهملت تربيتهما تراهما بعد حين يعودان الى حالتهما السابقة وينفقدان الخواصّ المكتسبة . فدَعْ مثلًا البقر والخيل في البراري هُمَلًا كما يفعل الاميركيُّون في مفاوزهم والمنغوليُّون في

صحاريهم القاحلة تجدها بعد ردحة من الدهر مستوحشة نافرة

فان كان الانسان مع كلّ حذاقته وافراغ مجهوده واتخاذه ما لديه من الوسائط لم يستطع حتّى الآن ان يستولد نوعاً جديداً ثابتاً فكيف تستطيع الطبيعة العمياء المهملة لذاتها ان تدرك بقوّة سحريّة هذه الغاية فتستولد عدداً لا يُحصى من الانواع والفصائل مع ما فيها من النظام العجيب وما لكل منها من جميل التركيب. فلو كان لهذه النباتات ولهذه الحيوانات ما يترجّمهُ فيها مشايعو دروين لأمكنها ولاسيّما بمساعدة الانسان ان تُظهر شيئاً من تلك التحوُّلات النوعيّة الثابتة التي يدّعونها لها. وحتى اليوم خابت آمالهم فيها. فان كان الانتخاب الصناعيّ عجز عن ذلك فكم بالحري الانتخاب الطبيعي المزعوم

وان ذهب الدرويينيُّون الى أنَّ الطبيعة في سالف الدهور كانت في توليدها للانواع اقوى منها في زمننا الحاضر أجبنا انَّ لدينا آثارًا من التاريخ واجغرافيّة راقية الى ألوف من السنين وكأنها تنبئ بانواع ثابتة وتنفي كلّ تحوّل وترقّ. ادخل مثلاً مدافن مصر التي يرقّي العلماء اصلها الى ستّة آلاف سنة تجد فيها ما لا يُحصى من مخنّطات المصريين بينها جُثث ماركهم واعيانهم وجثث حيوانات شتّى اهليّة ووحشيّة وضروب النباتات فلا فرق بينها جميعاً وبين المواليد الشائعة منها اليوم في انحاء وادي النيل

وكذلك التصاوير البديعة التي نقشها المصريُّون على جدران تلك المدافن تمثّل اجناس الحيوان كالكلاب مثلاً بينها كلاب الصيد والكلاب البيتيّة وكلاب الرُّعاة لا تختلف البتّة عن اجناسها الحاضرة كأن هذه بعض مواليدها في الامس لا تمتاز عنها بايّ خاصّة نوعيّة كانت

على انَّ الدرويينيين فراراً من هذه المشاكل العويصة يزعمون انَّ هذه التحوُّلات النوعيّة حدثت في دهور عريقة في القدم وذلك ببطء وبنوع غير محسوس. فهلمَّ نفحص تلك الدهور ومواليدها فلا شكَّ انها تُفحمهم بلسان حالها

اكتشف الاثريُّون في اعماق الارض قبوراً سبق عهدُها طور زمن التاريخ فلقوا فيها اصدافاً برّيّة وبحريّة اذا قابلت بينها وبين ما يُرى بجوارها حاضراً لا تجد فيهما اختلافاً. وبعض العلماء يزعمون انَّ تلك القبور ترقى الى ٢٠٠،٠٠٠ سنة بل الى ٣٠٠،٠٠٠ سنة وهيهات ان نسلّم لهم باقوالهم ولكن كفى بظنونهم هذه لردّ مبدأ

الترقي والتحوُّل اذ في كلّ هذا العدد من الدهور لم يحصل تحوُّل في تلك الاصداف

وكذلك النبات فقد وجدوا في سويسرة في طبقات الارض السفلى انواعاً من الشجر دُفنت فيها في الطور الجليدي الذي سبق وجود الانسان على الارض بالوف من السنين . وهذه الاشجار لا تختلف قط عن شجر سويسرة حاضراً بينها البندیان والشربين والسَّرو والصنوبر والبندق المعروفة في زماننا في اواسط اوربَّة

وقد روى الجيولوجيُّون الذين درسوا في عهدنا طبقات الارض انَّ قسماً عظيماً من النباتات والزهور التي نعرفها اليوم قد وُجدت ايضاً في العهد الجيولوجي المعروف بالميوسان (miocène) وهو القسم الاوسط من الطور الثالث . وكذلك وجدوا حيواناتنا الحاضرة في القسم الاخير من ذلك الطور وهم يعرفونهُ بالپليوسان (plio-cène) . وليس فرق بين القديمة والحاضرة الَّا انَّ بعض حيوانات ذلك العهد قد تلاشت وفنيت اليوم . امَّا ما بقي منها فانَّ انواعها كانواع زَمننا الحاضر . فهذه الوف من السنين كما يطلبها الدرويئيُّون فاين ما يشيرون اليه من الترقي واستحالة الانواع ؟ فذهبهم اذن لا سند لهُ ابتدعَتهُ مخيلتهم ولا يفيدهم القول بالانتخاب الطبيعي كما لم يستفيدوا من التولد الذاتي . نعم أنَّنا نوافقهم على مفاعيل العوامل المختلفة كالغذاء والمناخ في إحداث بعض التغييرات العرضيَّة المنحصرة في الحجم واللون والخلق الخ لكنَّ هذه التغييرات لا تبلغ الى تحويل نوعٍ الى نوعٍ آخر

انظر الى جنينتك حيث جمعتَ ضروباً من الزهور من عدَّة اشكال ومن بلاد مختلفة ترَ فيها صنوفاً يابانيَّة واميركيَّة ومن جنوبي افريقيَّة وكذلك النباتات الغذائيَّة . فانَّها تكيَّفت كلها بكيفيَّات خفيفة عرضيَّة على حسب هواء بلادها الاصليَّة لكنَّها لم تغيِّر نوعها على الاطلاق . وكذلك ترى في كلّ قارَّة وفي اعراض كل بلاد انواعاً خاصَّة من النبات والحيوان لا تجدها في غيرها من الجهات الَّا ان ذلك ليس برهاناً على ان تلك الانحاء هي ولَّدت تلك الانواع المختلفة

ولو ثبت انَّ هذه الانواع الخاصَّة ببعض البلدان تتحوَّل الى انواع اخرى بنقلها الى غيرها من الاقليم لاستطاع الدرويئيُّون ان يتَّخذوا ذلك دليلاً على زعمهم لكنَّ الامر ليس كذلك فان اشجار اوسترالية واميركة وزهور الصين واليابان وبُقول افريقية الجنوبيَّة تبقى على نوعها اذا نُقلت الى اوربَّة ولا يطرأ عليها سوى بعض

الاختلافات العرضيَّة . ومثلها المواشي الاوربيَّة التي نُقلت الى اوستراليا والى زيلندة الجديدة فانَّها بقيت على خواصها دون تغيير يذكر

خذ بذور كل النباتات وازرعها في ايّ البلدان تشاء تجد انَّ بعضها ينشأ وينمو على شكلهِ من نبات او شجر ثمّ يأتي بثمره الخاصّ ويتوطَّن مكان زرعهِ والبعض الآخر ينشأ ضئيلًا ضعيفاً ثم يتلف قبل ان يثمر ومنها ما لا يكاد ينبت ولا ينمو . والسبب في هذا الاختلاف انَّ لكل نبات مزاجهُ الخاصّ فيحتاج لينمو الى تُربةٍ تناسبهُ والى عَرْض من البلاد يوافق مزاجهُ من برد او حرارة او رطوبة . فالبذور التي تزرعها تتكيَّف بكيفيَّات الارض التي تقع فيها . ويحصل هناك ضربٌ من الانتخاب الطبيعيّ فلا تربّي كلُّ تربةٍ غير المزدرعات المناسبة لطبعها واحوالها . وشتَّان بين هذا الانتخاب الطبيعي والانتخاب الدرويني الذي يدَّعي ببروز انواع جديدة . وبذلك تحبط كلّ آمال الدرويينيين الذين ينسبون الى الطبيعة العمياء والى الصدفة نتائج لا يقوى عليها العقلاء . يريدون انَّ الصدفة في توالي الاجيال استخلصت بين الانواع الاوَّليَّة ما رأتهُ ملائماً لطبيعتها ولم تزل هذه الانواع تترقّى وتتحسَّن الى ان تصبح انواعاً جديدة . وكل يعلم ان الصدفة والنظام على طرفي نقيض فحيثما يوجد نظام وترتيب وهندام فهناك عامل فهيم ناطق وهو الله سبحانهُ وتعالى يظهر قدرتهُ غير المتناهية وسموّ عقلهِ في اصغر الكائنات بما يودعهُ فيها من هذا النظام العجيب

وفي المذهب الدروييني تناقض آخر فهو يزعم من جهة انَّ انتخاب الانسان الصناعي للنبات وللحيوان من شأنهِ ان يحدث في الطبيعة انواعاً جديدة . وبقولهم هذا يعترفون بان تكوُّن الانواع الجديدة يمكن حدوثهُ في ظرف ستَّة آلاف الى عشرة آلاف سنة اعني بعد تكوين الانسان . ومن جانب آخر اذا انكرنا على دروين ومشايعيهِ عدم حدوث هذا التحوُّل النوعيّ في قديم الزمان واثبتنا قولنا الى الآثار التاريخيَّة والى حفص الطبقات الجيولوجيَّة ورقمنا هكذا الى الازمنة السابقة للتاريخ دون وجود تغيير في النبات والحيوان القديمين وبذلك نُبكم افواههم يجيبوننا قائلين انَّ تغيير الانواع لا يحدث ببضعة الاف من السنين لا بدَّ لذلك من سياق اجيال عديدة سبقت عهد الانسان بمدَّة طويلة . وبذلك يظهر تناقضهم بنوع جليّ . فترى ان المذهب الدروييني في مزاعمهِ يتبع تخيُّلاتهِ واوهامهُ ويحيد عن البراهين المؤيدة بالعلم الصحيح

٣ رأي الجيولوجيين والعاديات الارضية في المذهب الدروينى

رأيت ان المتمذهبين بالمذهب الدروينى لم يجدوا مناصاً من تفنيد رأيهم في التحوُّل والترقي الّا بان ينسبوا ذلك الى الاعصار السالفة وفي زمن الاطوار الاولى من تركيب ارضنا . فلنلتفت اذن ما خلّفتهُ لنا تلك الاجيال الاولية لعلّها توقفنا على صحّة الامر

فلنعد الى تلك التاحف التي سبق لنا ذكرها حيث جُمعت كل مواليد الطبيعة النباتيّة والحيوانيّة ونُظمت بترتيب على حسب اجناسها وانواعها وضروبها المختلفة المعروفة منذ اوائل تكوين ارضنا الى يومنا فيشملها النظر في تسلسلها وترتيبها الاصطلاحيّ . وانّا نعتبرها نحن ليس على صورة شبهها هذا ولكن على حسب قدمها فنجعل في رأس كلّ جنس وكلّ نوع اقدم ما يُعرف منهُ ثم نضمّ اليه ما اكتُشف من امثالهِ قديماً ثم حديثاً بالتوالي الى يومنا

فان كان المذهب الدروينى صحيحاً وجب ان يكون اقدم مولود من كل جنس ومن كل نوع أبسط تركيباً ثم تأتي بعدهُ الافراد المتولّدة منهُ بالتدريج أرقى بنيةً وألطف تركيباً الى ان نبلغ الى المواليد العصريّة التي يجب على رأي دروين ان تكون في اوج الكمال غنيّة بما ورثتهُ من اسلافها السابقين . فبناء على ذلك هذا جدول النباتات التي اكتشفها الطبيعيُّون على حسب قدمها في طبقات الارض :

١ بعض اصناف الحتّ البحريّ (algues marines)
٢ الخنشار (fougères) الجبّاري المتحجّر في الطبقات الفحميّة وقد درست اثارهُ
٣ اشجار عادية مخروطة الشكل (cicadées, conifères) تشبه اشكالها المعروفة اليوم
٤ اشجار ذات فلقة الوحيدة (monocotylédonées)
٥ اشجار ذات فلقتين (dicotylédonées)

وان اعتبرنا بين الحيوان اصنافَ الطيور وجدنا اقدمها في التاريخ وفي الطبقة الارضيّة الثانويّة طيوراً جبّاريّة مسنّنة ليس الّا . ثمّ في الطبقة الارضيّة الثالثة وُجدت عدّة طيور مختلفة خالية من الاسنان لم يبق اليوم من اشكالها الّا النزر القليل . اما طيورنا الحالية الشائعة في زماننا فلا يظهر منها شيءٌ قبل الطور الجيولوجي الرابع وهي تخالف انواع الطيور السابقة وليس علاقةٌ بينها جامعةٌ لحلقات طور مع آخر

وكذلك الحيوانات ذات الثدي قد وجدوا منها بعض الامثلة في طبقة الارض الثانوية مما ذهبت آثارهُ حاضراً . ثم وجدوا في طبقة الارض الثالثة انواعاً من ذوات الثدي وكلها بالغة الضخم كبيرة الحجم يدعونها مَستودُنت وباليوثيريوم وغير ذلك وكلُّها طمست آثارها في الطور الرابع

وخلاصة القول انَّ في طبقات الارض المختلفة عدَّة نباتات وحيوانات توالت على سطح الارض الَّا انها ليس بينها علاقة تمكّن الدروينيين من القول بأنَّها تحوَّلت تباعاً وترقَّت فاصبحت بترقيها انواعاً جديدة

فلو شاء الدروينيُّون ان يقنعوا الناس بصحَّة رأيهم في تحوُّل الكائنات وترقيها لاقتضى عليهم ان ينظِّموا انواع كلّ جنس ويثبتوا ان ابسطها تركيباً اقدمُها وان في سياق ظهورها على الارض زادت اختلافاً ورقياً جيلًا بعد جيل وانهُ لم تظهر فوراً في اطوار الاجيال امثلة جديدة كاملة مخالفة للامثلة السابقة بل ارقى تركيباً من الانواع التي ظهرت من بعدها وانَّ بين الانواع الحاضرة والانواع الاصليَّة سلسلةً منظومة الحلقات دون انقطاع تترقّى صورها تدريجاً الى غاية كمالها

وكلّ هذه المطالب قد عجز عن تبيانها دروين وهكل وكلّ انصارهما ولم يستطيعوا قطّ ان يثبتوا هذا ترقي الانواع واختلافها .

سبق لنا في جدول النباتات انَّ اقدم ما يعرف منها انواع الحتّ البحريَّة (algues) ثمّ بعد زمن طويل ظهرت اشجار باسقة عاديَّة تحوَّلت بعدئذٍ الى مستودعات فحمنا الحجري المدفونة في باطن الارض والمستخرجة منهُ في عهدنا . فليقل لنا الدروينيُّون اي علاقة يرونها بين الحتّ وبين هذه الاشجار الجبَّارية واين النباتات المتوسّطة بينهما؟

وكذلك المواليد الحيوانيَّة . كيف ظهرت تلك الطيور الكبرى ذوات الاسنان القاطعة دون ان يسبقها طيور اخرى مهَّدت لظهورها السبيل ؟ ومثلها تلك الحيوانات ذوات الثدي البالغة الضخم والحجم التي ظهرت في الطور الجيولوجي الثالث فاين الحيوانات التي أعدَّت وجودها بالتحوُّل والترقّي وما السبب لظهور ما هو ادنى كمالًا منها بعد فنائها على عكس المبدأ الدروينيّ ؟

وقس على ذلك حشرات صدفيَّة مستحجرة كالأمونيت (Ammonites) التي وُجد منها في الطور الجيولوجي الثاني ازيد من اربعة آلاف نوع . وكفصيلة البلنيت

(Belemnites) العديدة الاشكال والانواع . وكلها لم يبق منها اثر في عهدنا فكيف لم تترق وتتحول الى انواع جديدة على مقتضى المذهب الدروينى ؟

فترى انَّ الجيولوجية تنفي المذهب الدروينى نفياً حيث نرى بتمادي الاجيال انواعاً من النبات والحيوان كاملة الأهبة تامة البنية تعيش على الارض في طور او طورين من الاجيال ثمَّ تفنى عن كثب دون ان تبقي نسلاً اكمل منها بعدها . وكذلك تلك الطيور الغريبة الشكل والبالغة العظم وتلك الزحافات الهائلة التي تُرى آثارها في طبقات الارض قد توارت وقام بعدها طيور وزحافات صغيرة الحجم متوسطة العظم . وكلّ ذلك مخالف للمبادئ الدروينية

ومما ينقضها ايضاً وجود انواع عديدة حيَّة معروفة في عهدنا كالحيوانات المتوسطة بين النبات والجماد كالاسفنج والاصداف النجمية الشكل والبطليموس فهذه وغيرها موجودة آثارها في اقدم ما نعرف من مستحجرات الاطوار الاولى قبلت عهدنا دون ان يطرأ عليها تغيير في كيانها وصورتها . ولو صحّ رأي دروين لوجب ان نجد فيها ترقياً متواصلاً منذ تلك الادهار السالفة الى اليوم . وليس شيء من ذلك

فكل هذه الدلائل تبيّن لذوي العقول الراجحة انَّهُ ليس علاقة يُبنى عليها تطوُّر معظم الانواع . فان الفحص الجيولوجي يثبت لنا ليس فقط انواعاً واجناساً تامة من الحيوان والنبات بل رتباً وفصائل مستقلة ليس قبلها ولا بعدها ما يتَّصل بها او يتبعها بعد ظهورها

وحبَّذا ما قاله الجيولوجيّ العصريّ الكبير السيو دي لاپاران (de Lappa-rent) السابق ذكره : « انَّ الحياة استولت على ارضنا تقريباً فجأةً على قدر ما يمكننا القطعُ به بظهور كائنات « جامعة منتهى كمالها الموافق للاحوال المحيطة بها »

وان لم يقنع الدروينيُّون بهذه البينات الساطعة والحجج الراهنة اتينا لهم باقرار دروين نفسه الذي شعر بتداعي مذهبه وسقمه قال في كتابه عن اصل الانواع كما رواهُ الاب ڤيكورو : « ان بنية كلّ حيوان محدودة منظمة بكل تدقيق بحيث لا يجوز لنا في حالة علومنا الحاضرة ان نتَّخذ تركيبها كحجَّة لاثبات ما نرويه من التحوُّل في انواعها المختلفة من ذوات الفقرات الى الحلقيات ومن الهلاميات الى السيلنتريات (Cœlentères) وذلك ليس في عهدنا فقط بل في كلّ اطوار التاريخ

التي يبحث عنها الجيولوجيُّون ... ليس لنا برهان وضعي ثابت يجوز لنا ان نركن اليهِ اللهمَّ الَّا بعض دلائل غير كافية لتبيان التحوُّلات التدريجيَّة في انواع الحيوان... نعم اننا نجد في كلّ فئة بنوعٍ جلي اختلافات عديدة الَّا اننا ما نطلبهُ فيها من الترقي لا يظهر فيها مطلقاً»

فهذا الكلام إقرارٌ واضح على انَّ المزاعم الدروينيَّة اوهام وتخيُّلات لا صحَّة لها في الطبيعة وانما هي كالبرق الخُلَّب او كالسراب في الصحراء او كاضغاث الاحلام ينخدع بها الناظر برهةً ثمَّ لا يلبث ان يقف على حقيقة الحال فيزيد اسفهُ على ما أمَّل منها خيراً فكان ضيراً (لهُ صلة)

رحلة حديثة الى الشهباء

للاب لويس شيخو اليسوعي

حلب احدى عواصم سوريَّة الكبرى لها مع بيروت ودمشق التقدُّم على سواها من مدن الشام . وقد زرناها سابقاً ونوَّهنا في المشرق غير مرَّة بعظم شأنها وحسن آثارها ومناقب سكَّانها

على اننا كنَّا نودّ ان نقف على ما استجدَّ في الشهباء في هذه الحقبة الاخيرة فندوّن على صفحات المشرق ما يستحقُّ الذكر مما جرى فيها واذا بأمر من ورسائنا اننا بغتةً لنذهب اليها لبعض الشؤون الدينيَّة فانطبق امرهم مع رغبتنا

ركبنا القطار في بيروت في مساء يوم الاحد الواقع في ٢١ تموز وما لبثنا ان شعرنا في مشارف لبنان بريحِ البليل فنسينا حرَّ سواحلنا اللافح . وفي سحر النهار بلغنا رياق حيث انتقلنا الى قطار حلب الواسع الإسلاك ذي المراكب الرحبة المريحة

عشر ساعات وازيد من ٣٠٠ كيلومتر تفرق بين رياق وحلب فيقضي الراكب صاب نهارهِ في مركبته يسرح الابصار من نوافذها الى مدن عامرة كبعلبك وحمص وحماة والى قرى خصبة كرأس بعلبك وقصير وحميديَّة ويسرُّهُ النظر الى قمم لبنان مع بعض الثالج التي لم تقوَ اشعَّة الشمس على تذويبها والى وادي العاصي وباتينهِ الغناء

التي يبحث عنها الجيولوجيُّون ... ليس لنا برهان وضعي ثابت يجوز لنا ان نركن اليهِ اللهمَّ الَّا بعض دلائل غير كافية لتبيان التحوُّلات التدريجيَّة في انواع الحيوان... نعم اننا نجد في كلّ فئة بنوعٍ جلي اختلافات عديدة الَّا اننا ما نطلبهُ فيها من الترقي لا يظهر فيها مطلقاً»

فهذا الكلام إقرارٌ واضح على انَّ المزاعم الدروينيَّة اوهام وتخيُّلات لا صحَّة لها في الطبيعة وانما هي كالبرق الخُلَّب او كالسراب في الصحراء او كاضغاث الاحلام ينخدع بها الناظر برهةً ثمَّ لا يلبث ان يقف على حقيقة الحال فيزيد اسفهُ على ما أمَّل منها خيراً فكان ضيراً (لهُ صلة)

رحلة حديثة الى الشهباء

للاب لويس شيخو اليسوعي

حلب احدى عواصم سوريَّة الكبرى لها مع بيروت ودمشق التقدُّم على سواها من مدن الشام . وقد زرناها سابقاً ونوَّهنا في المشرق غير مرَّة بعظم شأنها وحسن آثارها ومناقب سكَّانها

على اننا كنَّا نودّ ان نقف على ما استجدَّ في الشهباء في هذه الحقبة الاخيرة فندوّن على صفحات المشرق ما يستحقُّ الذكر مما جرى فيها واذا بأمر من ورسائنا اننا بغتةً لنذهب اليها لبعض الشؤون الدينيَّة فانطبق امرهم مع رغبتنا

ركبنا القطار في بيروت في مساء يوم الاحد الواقع في ٢١ تموز وما لبثنا ان شعرنا في مشارف لبنان بريحِ البليل فنسينا حرَّ سواحلنا اللافح . وفي سحر النهار بلغنا رياق حيث انتقلنا الى قطار حلب الواسع الإسلاك ذي المراكب الرحبة المريحة

عشر ساعات وازيد من ٣٠٠ كيلومتر تفرق بين رياق وحلب فيقضي الراكب صاب نهارهِ في مركبته يسرح الابصار من نوافذها الى مدن عامرة كبعلبك وحمص وحماة والى قرى خصبة كرأس بعلبك وقصير وحميديَّة ويسرُّهُ النظر الى قمم لبنان مع بعض الثالج التي لم تقوَ اشعَّة الشمس على تذويبها والى وادي العاصي وباتينهِ الغناء

والى ما يلوح عن بُعد من الآثار القديمة كهرمل ودير مار مارون ورستان وخصوصاً تلّ مندو قريباً من بحيرة حمص حيث قامت لجنة من الاثريين الفرنسويين بحفريات حديثة فوجدوا هناك بعض العاديّات منها كتابة هيروغليفيّة لرعمسيس الثاني التي يُستفاد منها ان في ذلك الوقع كانت عاصمة الحثّيين المعروفة بقدس وفيها انتصر عليهم الفرعون في القرن الخامس عشر قبل المسيح

على انّ القطار اذا قطع حماة سار في مفاوز قاحلة تلوّحها الشمس في هذه الأيام بنيرانها المحرقة فتّمت نظرنا برؤيا السَّراب في الافق

وفي تلك الجهات حدثت قبل اشهر تلك الغارات من عشائر البدو التي عكّرت مياه الامان فضربت الجنود الفرنسويّة على ساعد المقلقين وفتّت في عضدهم وقد اقامت الدولة المندوبة في عدّة امكنة مخافر من جنودها البواسل فاطمأنّت القلوب

اوّل ما يلوح لنظر ركّاب القطار من الشهباء قلعتُها الراقية طبقاتها السفلى الى الالف الثاني قبل المسيح (اطلب المشرق ٢ [١٨٩٩] : ١٧) فنُرشت جوانبها بنحيت الحجارة ثم تكلّل اعلاها بالابنية المنيعة التي تكرّر ترميمها بتعاقب الدول فبانت من العزّ شأواً عظيماً في القرون الوسطى. وفيها يقول الخالدي شاعر سيف الدولة بن حمدان :

وخرقاء قد قامت على من يرومُها ... برقيها العالي وجانبها الصعب
يحرّ عليها الجوّ بيض غمامه ... ويلبسها عنداً بها لجب الشهب

وبقيت على ذلك حتّى تمّ خرابها في عهد الدولة العثمانيّة على ان الجنود الفرنساويّة المرابطة فيها قد تولّت في هذه الأيام اصلاحها

محطّة حلب في غربي المدينة تبعد عنها نصف الساعة فيسرّ المسافر في حيّ جديد يُعرف بالجميليّة يزدان كل يوم بأبنية رحبة محكمة البناء ثمّ يدخل الاحياء القديمة التي ضاقت عن سكّانها فانفرجوا منذ خرجوا الى ضواحيها القريبة قبل ٣٠ سنة فشيّدوا احياء العزيزيّة والحميديّة والتلل والنيّال التي يسكنها اعيان البلد وذوو الثروة. ولا عجب فان اهل حلب ينمون نموّاً متواصلاً مع ما استوطنها من مهاجري الارمن وغيرهم ولا نستبعد ما قيل لنا انّ عدد النفوس في حلب يبلغ اليوم ٢٥٠،٠٠٠

وما لا يُنكر انّ موقع حلب قد ضمن لها في الاجيال السالفة ترقّياً ونجاحاً

ولعلّ مستقبلها القريب يكون افضل وانجع من ماضيها . كيف لا وهي في وسط بلاد عامرة وافرة الخيرات لا تستغني عن المرور بها كقيليقية والارمن والنحاء الشام وما بين النهرين مع قربها من البحر لاسيما اذا تمّت عمّا قليل السكّة الحديديّة بينها وبين الاسكندرونة وكذلك موقعها على طريق العراق وفارس والهند بسكّة بغداد التي سوف تُعيد لها بالربى ما خسرتهُ بفتح ترعة سويس قبل خمسين سنة . وذلك ما كان يحمل بعض الدول الغربيّة ترنو اليها بعين الطمع كالمانية قبل الحرب وفي غضونها ولاسيّما انكلترة بعد عقد الصلح تأميناً لطريقها الى الهند

انّ الحرب الكونيّة التي عركت بكلكلها معظم البلاد فاذاقتها العلقم قد كانت لحلب اوان خصب وغنى على حدّ ما قيل :

بذا قضت الايّامُ ما بين اهلها مصائبُ قوم عند قوم فوائدُ

فانّ تجارتها قامت على ساق فأتتها الارباح الطائلة بمعاملاتها مع المانية والنمسة وجنودها في الشرق ومع قبائل البادية التي توفّر لديها المال المدفوع لها لتبقى في سلمها ولا تزيد بغتتها وطأة الحرب على اعناق الدولة العثمانية . فتدفّقت في صناديق تجّار الشهباء الاموال واتّسع نطاق معاملاتهم فكادوا يجتذون الحرب . وزد على ذلك انّ الدولة العثمانيّة بازاء الالمان لم تشأ ان تضغط على الحلبيين حتّى الارمن منهم الذين كادت تستأصل شأفتهم في انحاء ممالكها . وكان ولاة حلب يجاملون سكّانها مسلمين ونصارى ولم ينفروا منها الّا بعض الاجانب . فكلُّ ذلك ادّى الى نجاح احوال حلب ونموّ حضارتها ولولا ما اصاب اهلها من الامراض الوبائيّة بمرور العساكر العثمانيّة في ارجائها لخرجت من الحرب ظافرةً بمناها رافلةً ببغناها

*

على ان هذه الحال السعيدة زالت بنهاية الحرب فانقلبت الامور وأُصيبت حلب كبقيّة مدن سوريّة بآفة الغلاء وكسدت اسواقها بما حدث فيها من تفرّق الكلمة والتحزّبات السياسيّة فانتمى كثيرون الى الامير فيصل ودولته العربيّة ورأى غيرهم ان تملّك احد ابناء البادية على مدينة راقية كحلب يخسُّ بشأنها وهبوطٌ لعلوّ مقامها . ثمّ بلغ مسامع الحلبيين صدى الفتن الجارية في دمشق وفي بعض انحاء الشام فكادت هذه الاخبار تهيج بعض الاشقياء في الشهباء والغرب المجاورين للبلد وتثير بين اهلها

القنن والمشاغب لكن الدولة الفرنسوية اسرعت قبل انتصارها على الفيصليين في ميسلون وارسلت فئات من عساكرها المظفرة الى حلب فدخلتها دون عناء وبسطت الامان على سكانها . وها قد مرَّ عليها سنة بنيف واهلها راتعون ببحبوحة سلام لم يعهدوا مثلهُ في سابق تاريخهم لاسيما بهمَّة الجنرال دي لاموط الذي يسهر على كل صوالح المدينة ويطيّب قلوب الاهلين جميعاً دون مراعاة الوجوه ودون تمييز في الاديان لا يرشدهُ في سياستهِ غير روح العدل والخير العامّ

اما غلاء الاسعار في الحاجيات والمأكولات وان هبط قليلاً فانهُ لا يزال ثقيلاً على كاهل العموم وسببهُ انقطاع المعاملات بين حلب والمدن الداخليَّة الشماليَّة والشرقيَّة كمرعش واورفة وبره جك وديار بكر وماردين والموصل فانَّ القوافل التي كانت تتردَّد من تلك المدن الى حلب كانت تغني الشهباء بوارداتها وصادراتها . والامل معقود على قرب استئناف هذه المعاملات لخير البلاد ورحمةً بالعباد

ومما يشكرهُ الجميع لفرنسة انشاؤها مأوى رحب الارجاء للاولاد الايتام والمنقطعين يجدون فيهِ طعامهم اليومي ومنامهم ويُسمح لهم في النهار ان يرتزقوا باي شغلٍ يلقونهُ في المدينة . ذلك فضلاً عن الجمعيَّات الخيريَّة التي لكل طائفة من الطوائف ولاسيَّما جمعيَّة مار منصور دي بول التي بلغت في هذا العام السنة الثالثة والعشرين منذ انشائها وصرفت في سبيل الخير بعد الحرب في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ ما بلغ ١٤١٫٣٣٤ غرشاً بهمَّة رئيسها الغيور ديزيره افندي حمصي واعضائها الافاضل اثاب الله اجزل ثوابهِ كلَّ عاملي الخير

ومع ما اصابتهُ حلب من الترقي في هذه السنين الاخيرة هي لا تزال في حاجةٍ الى عدَّة امور لولاها لا يمكنها ان تُنظَّم بين امهات المدن العصريَّة . فمن ذلك حاجتها الى الماء الشروب فان اكثر اهلها يشربون مياه الآبار والصهاريج الَّا الذين يبتاعون ماء عين التلَّة على بعض المسافة من المدينة . وكثيراً ما فكَّر ارباب الامر واعيان البلد في جلب مياه الفرات او بعض الينابيع او الانهر الى حلب وحتى الآن لم يبرز الفكر الى حيّز العمل . وكم يحتاج اهل الشهباء ايضاً الى المياه لسقي مزروعاتهم لقلَّة مياه نهر قويق الذي لا يفي بهذا المقصود وينضب في الصيف

ومما تحتاج اليهِ حلب احتياجاً كبيراً إنارة البلد سواء كان بالكهرباء ام بالغاز

على الاقلّ . فان مدينة ذات شأن لا غنى لها عن مصابيح نيّرة وهّاجة ليلًا لتنوير شوارعها ومعاهدها العمومية . والبترول قليل النور لا يقوى على ذلك . فمن شاهد حلب واحياءها ليلًا عدّها بلدة خاملة او قريةً صغيرة

ثمّ انّ حلب في حاجةٍ ماسّة الى ترامواي يسير بين احيائها المتفرّقة . فانّ العجلات قليلة واقلّ منها الاوتوموبيلات لا يستطيع العموم ركوبها لغلاء اسعارها ولصعوبة السير عليها في وسط البلد لضيق الطرقات

*

وان سألت اين مبلغ حياة حلب الادبيّة ؟ اجبنا ان اهل الشهباء قد عُرفوا منذ سابق الازمنة بولوعهم بالمعارف والفنون ولو سعى احدهم ان يكتب في ذلك تأليفاً خاصًّا لَما ضاق بالامر ذرعُهُ مع كثرة من شرّفوا وطنهم من كتبة وشعراء ومؤرخين بعضهم سريان وبعضهم يونان ومنهم عرب نصارى ومسلمون وقد ذكرنا في المشرق (٩[١٩٠٦]: ٦٢٩ : ٦٩١) عددًا عديدًا ممّن اشتهروا في القرون الاخيرة في حلب الى زمننا القريب بحيث يصحّ ان يُنسب اليهم قسمٌ صالح من النهضة الادبيّة التي ظهرت في سوريّة في الجيلين السابقين

على انّ بيروت في الحقبة الاخيرة اصابت من هذا القبيل بالسهم الاقوز منذ احتأها المرسلون الاوربيّون والاميركيّون ففتحوا المدارس والكليات وانشأوا المكاتب والمطابع وابرزوا التآليف المتعدّدة مع الجرائد والمجلّات بينما كانت حلب ضاجعةً في بطحائها غائصة في متاجراتها الداخليّة كأنها منقطعة عن عالم التمدُّن وانّما تحسد سواحل الشام على رقيّ آدابها

بيد انّها في منتصف القرن العشرين احسّت بهذا النقص فأحبّت ان تتلافى الخلل . واليوم ترى في حلب عدّة مدارس ثانويّة يتعلّم فيها الاحداث مع اللغات الوطنيّة والاجنبيّة مبادئ العلوم العصريّة أقدمُها مدرسة الآباء الفرنسيسيين في الشيخ ثمّ مدارس الطوائف الكاثوليكيّة الارمن والروم والموارنة والسريان يجاري طلبتها بعضهم بعضاً في هذا الميدان الشريف . وللاباء اليسوعيين مدرسة حديثة للمعارف الفنيّة استقبلها الاهلون بالترحاب . وللروم الاورثذكس والمسلمين ايضاً مدارسهم الناجحة . وكذلك في حلب عدّة مدارس للاناث تقوم بمعظمها راهبات الكاثوليك

خصوصاً اليوسفيّات وراهبات المحبّة المعروفات براهبات بزنسون وراهبات سأن شرل الالمانيّات وراهبات الارمن وراهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين . وكان الالمان في وقت الحرب يديرون في حلب مدرسة كبيرة وهم يؤملون تحويلها الى كلّيّة جامعة لكن الزمان دار عليهم فاحبط مساعيهم . وكذلك اصحاب المدارس العلمانيّة اللادينيّة خاب املهم في مجاراة المدارس الكاثوليكيّة

اما المطابع في حلب فقد دوّنّا تاريخها في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٣٥٥) الى اواخر القرن السابق وقد زاد انتشارها في العشر السنين الاخيرة وقلّما تنشر من المطبوعات المهمّة ومعظم اشغال اصحابها بنشر الجرائد كالتقدُّم والأمّة والصاعقة والنهضة وغير ذلك مع مجلّات قليلة كالشعلة . ونؤمل من أدباء الشهباء ان يتحفونا بما هو اجدر بذكائهم وسعة معارفهم

ولا يفوتنا انّ الآداب لا تترقّى الّا اذا عُني بإنعاشها المكلّفون بترقيتها وذلك خصوصاً بهمّة مدير المعارف وعمّاله بأن يقرّبوا للادباء وسائل التأليف ويفتحوا لهم المكاتب العموميّة ويجهّزوها بكل ما من شأنه ان ينشّط الكتبة ويشحذ قرائحهم

على انّ في حلب بعض المكاتب الموقوفة على الجامع وانّما يصعب الانتفاع بها لتفرُّقها وقلّة الوسائط لدرسها واستفتاحها . فكان الاولى لو جُمعت في نادٍ واحد يُعدُّ لهذه الغاية كما فعل سابقاً في دمشق المرحوم مدحت باشا لما جمع في جامع الملك الظاهر المخطوطات المتفرّقة في جوامع المدينة . ومن اللازم اللازب ان يُضاف الى هذه المخطوطات اخصّ الكتب الشرقيّة المنشورة في جهات الشام ومصر وفي اوربّة ليقف عليها الوطنيُّون

ومن مكاتب حلب المعتبرة مكتبة الدار الاسقفيّة المارونيّة التي وصف قسماً كبيراً من مخطوطاتها حضرة الاب ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني في المشرق في السنة ١٩١٤ . وقد قيل هناك انّ اوّل من اهتمّ بانشائها السيد الشهير الطبّ الذكر المطران جرمانوس فرحات . وقد سمح لنا سيادة المطران الجليل ميخائيل الخوري بان نستقري مضامينها فقضينا عدّة ايام نتصفّح مخطوطاتها في الديوان الاسقفي حيث أُعدت لها خزائن كبيرة أُودعت فيها . وهناك ما عدا الكتب الخطّيّة النفيسة الاسلاميّة والنصرانيّة مطبوعات اوربية قديمة كان معظمها يخصّ الرهبنة اليسوعيّة قبل الناشها

سنة ١٧٧٣ فتضعضعت وتشتت فسعى مطارنة حلب الموارنة الافاضل باقتنائها لئلا تأخذها يد الضياع وعلى اكثرها مكتوب في صدرها « مكتبة دير الآباء اليسوعيين في حلب » وهي تدلّ على عناية الرهبان اليسوعيين في كلّ وقت وبلد بانشاء المكاتب المفيدة للدرس والتأليف وتوسيع نطاق العلوم

ولسائر الطوائف مكاتب صغيرة فيها بعض المخطوطات ليست بالنادرة . واقلّ منها شأناً مكتبة الروم الارثذكس الاسقفيّة التي لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر وقد قيل لنا انهُ كان في حلب مكتبة معتبرة تخصّ البطريركيّة وانّما فُقدت كنوزها بفعل الزمان وتغافُل ناظريها . وقد اهدى غبطة البطريرك الحالي اثمن واعزّ ما وجدهُ فيها القيصر المرحوم نقولا الثاني لما رحل الى روسيّة . وكان في جملتها رحلة البطريرك مكاريوس الحلبيّ الى روسيّة وهو سِفرٌ جليل غاية في الشأن لم يُنشر الى اليوم بالطبع

وعند بعض الخاصّة مكاتب تحتوي مخطوطات نفيسة ذكرناها سابقاً كمكتبة المنسيور جرجس شلحت السرياني ومكتبة الخورفسقفوس جرجس منش الماروني . واطّلعنا على مكتبتي الادباء نقولا ورزق الله أيوب . وفي كلّها بقايا من آثار الاقدمين ولاسيّما من اعمال قدماء النصارى والمرسلين

واحسن مكتبة خاصّة وجدناها في حلب مكتبة الوجيه الفاضل اسعد بك الميتانيّ جمع فيها معظم مطبوعات الشرق العربيّة مع بعض المخطوطات الدينيّة القديمة العهد البديعة الكتابة بينها ما كتبهُ المصنفون بيدهم فتتضاعف قيمتُهُ

*

ومما يذهل الزائر لحلب نشاط اهلها في الشغل فانّك حيثما تسير تجد الجميع صغاراً وكباراً في اشغال شاغلة يصرفون في إتقانها كنانة جهدهم لاسيّما الصنّعة وارباب الحرف . وترى الاسواق حافلة بالجماهير للبيع والشراء وفيها كلّها الخيرات دارّةٌ واسباب المعاش متوفّرة اذ يأتي القرويون كل صباح باوساق الخضر والبقول والفواكه اللذيذة كالعنب والبطيخ الاصفر والاحمر (الزبش) والفستق الحلبيّ الشهير في كلّ البلاد . واراضي حلب تصلح للزراعة فتذكر فيها الغلّات على اختلاف اجناسها . ومن مزروعاتها النامية القطن الفاخر والسمسم والذرة والدخن والكروم . وقد روى ياقوت في معجم البلدان انّ القرى اللاحقة بحلب كان عددها بالغاً ٨٢٠ عدّاً

وكذلك الصناعة في حلب تكاد تجاري صناعة دمشق فيها معامل الصابون والرقم والدباغة . ومن مصنوعات حلب الممتازة المنسوجات المختلفة الحريرية والقزلية والصوفية يقال انَّ عدد الانوال التي تصطنعها لا تقلّ عن عشرين الف نول يعيش منها ربوات من اهلها . ومنها الاقمصة الثمينة وصناعتها التي مرَّ لنا ذكرها في مقالة خاصة (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٧٥١)

وحلب غنيَّة بالمواشي وبالخيل الجياد والابل لقرب حلول عرب البادية منها

وابنية حلب جميلة تبنى حاضراً على الاطراز الجديدة وكانت قديماً تُشاد على نسق شرقي لطيف فتحلَّى سقوفها بالاصباغ والدهون الملوَّنة وتُرقم على مدارها بالذهب الحكم وابيات الشعر . وعلى اطراف البلد توجد مقالع الحجارة البيضاء والصفراء والحمراء والسوداء القارية

والغالب على حلب واهلها التجارة امتازوا بها منذ سالف الاعصار وذلك لحسن موقعها اذ كانت محطَّ قوافل شرقي آسيَّة وسوريَّة . وفيها تُستودَع البضائع الاوربيَّة والاميركانيَّة المختلفة . وكان يقدم اليها تجار الفرنج منذ عهد دولة المماليك في مصر بينهم البندقيّون والجنويُّون ثمَّ الفرنسويُّون والانكليز واستوطن كثيرون منهم حلب كان لهم فيها الخانات الواسعة الجميلة . واسواق حلب القديمة كلّها مسقوفة تقي تجارها من حرّ الصيف ومن برد الشتاء وامطاره

امَّا اخلاق الحلبيين فقد اشتهرت بالانس واللطف على موجب المثل السائر «حلبي جلبي» فيجد الغريب بحسن معاشرتهم ولين عريكتهم ما يطيّب نفسهُ ويؤلف قلبهُ ويجذبهُ الى معاملاتهم

وكذلك روح الدين شائع بين اهل حلب تدلُّ عليهِ مشروعاتهم العديدة ولاسيَّما الكاثوليك ولعلَّنا نفرد لها مقالاً خاصًّا تنويهاً بتقاهم واريحيَّتهم . وكذلك المسلمون يقومون بفرائضهم الدينيَّة بكل حرص على انَّ بعض جهلائهم تجاوزوا الحدود فارادوا في هذه الاسابيع الاخيرة ان يضطرُّوا ذوي دينهم الى ان يقفلوا مخازنهم طول يوم الجمعة كما سعى بذلك بعض المسلمين في بيروت على خلاف السنن الاسلاميَّة . غير انَّ المراجع الدينيَّة في حلب كما في بيروت رأوا في عملهم إجحافاً بصوالح العموم ونشروا اعلاناً رسميًّا بانَّ صلاة الجمعة وحدها مفروضة على المسلمين وليس من

موجب في يوم الجمعة تبطيل الاشغال واضطرار الناس الى الامتناع عن البيع والشراء.

وقد علمنا انّ الالفة غالباً تسود بين اهل حلب رغماً عن اختلاف الاديان ولا يُسبأ ببعض الاوباش الذين يحاولون تعكير صفاء الولاء والحبّ . وقد عاينّا ذلك في غرّة ايلول في موسم استقلال سوريّة ونجاتها من النير الحجازي . فكان العيد بهيجاً اشترك في افراحه كلّ الاهلين واعربوا عن عواطفهم المخلصة لمندوبي الدولة الفرنسويّة وممثّليها . ومما لا ينكر انّ اعيان المدينة ورؤساء الاديان وخصوصاً السادة الاساقفة لم يألوا جهدهم في جمع القلوب وتوحيد مساعي العموم لترقية المدينة ونجاح امورها

على انّ اهل حلب عموماً وتجارها خصوصاً يتوجّسون خوفاً من خطر عظيم يحلّ بمدينتهم فيكون عليها ضربةً لازبة . يرون في تحديد الانتداب الفرنساوي على مسافة بضعة كيلومترات من حلب شمالاً وشرقاً وتخصيص ما وراء تلك الحدود بالاتراك سوف يحرم حلب من معظم مواردها بقطع معاملاتها مع داخليّة البلاد فتصبح شلواً هامداً لا تحيه جوارحُ او نهراً لا تمدُّهُ السواعد فتنضب مياهُهُ. وقد عرضوا الامر على الدولة الفرنسويّة لتلافي هذا الخطر فعساهم ينالون غايتهم

وفي الختام نتمنّى لحلب رقياً متواصلاً ونجاحاً دائماً لتكون نقطة الدائرة بين البلاد التي تحدق بها كما هي مركز حياتها التجاريّة والاقتصاديّة والادبيّة

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب ايرونيموس دنديني الى لبنان (١٥٩٦ــ١٥٩٧) .

كان مرّ على سفارة الاب يوحنّا اليانو الثانية الى لبنان خمس عشرة سنة وعلى وفاته ستّ سنوات . وكان تعيّن على محاماة الموارنة في رومية بعد الكردينال كرافا

موجب في يوم الجمعة تبطيل الاشغال واضطرار الناس الى الامتناع عن البيع والشراء.

وقد علمنا انّ الالفة غالباً تسود بين اهل حلب رغماً عن اختلاف الاديان ولا يُسبأ ببعض الاوباش الذين يحاولون تعكير صفاء الولاء والحبّ . وقد عاينّا ذلك في غرّة ايلول في موسم استقلال سوريّة ونجاتها من النير الحجازي . فكان العيد بهيجاً اشترك في افراحه كلّ الاهلين واعربوا عن عواطفهم المخلصة لمندوبي الدولة الفرنسويّة وممثّليها . ومما لا ينكر انّ اعيان المدينة ورؤساء الاديان وخصوصاً السادة الاساقفة لم يألوا جهدهم في جمع القلوب وتوحيد مساعي العموم لترقية المدينة ونجاح امورها

على انّ اهل حلب عموماً وتجارها خصوصاً يتوجّسون خوفاً من خطر عظيم يحلّ بمدينتهم فيكون عليها ضربةً لازبة . يرون في تحديد الانتداب الفرنساوي على مسافة بضعة كيلومترات من حلب شمالاً وشرقاً وتخصيص ما وراء تلك الحدود بالاتراك سوف يحرم حلب من معظم مواردها بقطع معاملاتها مع داخليّة البلاد فتصبح شلواً هامداً لا تحيه جوارحُ او نهراً لا تمدُّهُ السواعد فتنضب مياهُهُ. وقد عرضوا الامر على الدولة الفرنسويّة لتلافي هذا الخطر فعساهم ينالون غايتهم

وفي الختام نتمنّى لحلب رقياً متواصلاً ونجاحاً دائماً لتكون نقطة الدائرة بين البلاد التي تحدق بها كما هي مركز حياتها التجاريّة والاقتصاديّة والادبيّة

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب ايرونيموس دنديني الى لبنان (١٥٩٦ــ١٥٩٧) .

كان مرّ على سفارة الاب يوحنّا اليانو الثانية الى لبنان خمس عشرة سنة وعلى وفاته ستّ سنوات . وكان تعيّن على محاماة الموارنة في رومية بعد الكردينال كرافا

سنة ١٥٨٩ الكردينال جبرائيل باليوتي ثم الكردينال ألدوبرندبني سنة ١٥٩٤ . اما الحبر الاعظم فكان البابا اقليمس الثامن جلس على السدّة البطرسيّة في آخر كانون الثاني من السنة ١٥٩٢ فتولّى تدبير الكنيسة ١٣ سنة . وكان البطريرك سركيس الرزّي لا يزال يرعى طائفتهُ بكل عناية . قال الدويهي في تاريخ الطائفة المارونيّة (ص ١٨٢) :

« وفي السنة ١٥٩٥ أقام البطريرك سركيس في عيد ميلاد الرب يوسف بن موسى اخيهِ اسقفاً وارسلهُ سفيرًا الى البابا اقليمس الثامن في بعض مصالح الطائفة ولتهنئتهِ بعرش الخلافة . فأجلَّهُ البابا غاية الاجلال وعند عودتهِ ارسل في صحبتهِ قسّيسَين من الشركة اليسوعيّة وهما ايرونيموس دندبني وفابيوس برونا »

ولهذه السفارة شأن عظيم في تاريخ الطائفة المارونيّة فلا بدَّ من تقديم بعض الملحوظات عليها :

كان رئيس هذه السفارة الاب ايرونيموس دندبني . ولد في مدينة سيزانو من اعمال ايطالية سنة ١٥٥٤ من أسرة شريفة ودخل الرهبانيّة سنة ١٥٦٩ وهو اوّل يسوعي علّم الفلسفة في باريس ثم عُهدت اليهِ عدّة مهامّ من تعليم وولايات شتّى تدلّ على ما كان لهُ من الاعتبار لدى رؤسائهِ وعند اهل عصرهِ

فبينما كان يعلّم اللاهوت السنة ١٥٩٦ في مدينة پروزة اذ طلبهُ الحبر الاعظم اقليمس الثاني ليذهب الى لبنان بصفة قاصد رسولي ليتحرّى امور الموارنة ويستقصي احوالهم الدينيّة فيوقف على صحّتها إمام الاحبار . وقد شرح ذلك هو عينهُ في اخبار رحلتهِ قال (ص ٤ من طبعة باريس سنة ١٦٨٥) ما تعريبهُ :

« كانت بلغت سامع الحبر الاعظم والكرادلة منذ مدّة طويلة بعض الوشايات بحقّ الموارنة . وكان قومٌ نسبوا اليهم عدّة اضاليل وبدع . وكان الموجودون منهم في رومية يبذلون جهدهم في تذكية طائفتهم الّا انّ الامور لم تجلِ فكان البعض ينفون ذلك والبعض يصدّقونهُ حتّى صعب الوقوف على الحقيقة . واذ كان الكرسيّ الرسولي حريصًا جدًّا للطيفة لتهذيب احداث الطائفة في المدرسة المنشأة لهم وقد اتى منهم الى رومية اخيرًا فرقةٌ عديدة واكثرهم لا يستطيعون ان يتكلّموا على الدروس لفضاضة سنّهم حتى زادت المصاريف برؤوسهم فسبّب ذلك بغض الاشياء . في الحاشية البابويّة لاسيما وقد بلغهم انّ الذين كانوا أتوا دروسهم ورجعوا الى مواطنهم في الدار المنصرم لم تُعهَد اليهم وظائف يقومون بها مع كونهم اتقنوا الدروس الفلسفيّة واللاهوتيّة وبلادهم في غاية الحاجة الى عملة نشيطين لتأييد الدين . وبناء عليه عزم قداسة الحبر الاعظم على ان يرسل

الى بلاد الموارنة رجلًا ثقةً يبحث بحثًا مدقّقًا عن احوالهم الدينيّة وامورهم الاديّة فيوقف الكرسي الرسولي عند رجوعه عمًّا لحظهُ وتبيّنهُ . ثمّ يسعى في سفارته بحسن اختيار الاولاد المرسلين الى المدرسة المارونيّة من حيث بلوغهم السنّ المناسب وذكاء عقلهم كما يجب عليه ان يهتمّ بامر التلامذة الذين اخوا دروسهم ليولّوهم رعاية النفوس وتدبير كنائس طائفتهم »

هذا ما كتبهُ الاب دنديني في اسباب سفارته الى لبنان كما دوّنهُ في اوّل تاريخ رحلته التي ستذكر خلاصتها . ومن قوله هذا يتّضح بان التُّهم في صحّة ايمان الموارنة لم تصدر كما ظنّ البطريرك سركيس من الاب اليانو المتوفّى قبل ستّ سنين بل من ناس احياء كما يلوح من كلامه . ولعلّ هؤلاء كانوا من الشرقيين الذين اتوا رومية من طوائف أخرى فاطّلعوا على كتب الموارنة التي اتى بها سابقًا الاب اليانو وكان المراطقة دسّوا فيها اضاليلهم فنشروا ذلك في رومية وعاكسهم الموارنة الذين فيها

فلمّا تعيّن الاب دنديني لهذه السفارة توجّه الى امّ المدائن فامتثل بين يدي الحبر الاعظم ليقف على سائر نيّاته والتمس من فضله ان يمدّهُ بكل النعم الروحيّة تسهيلًا لاعماله كما التمس منهُ الرخصة لزيارة الاراضي المقدّسة . فنال من فضل قداسته كل ما طلبهُ لخير الموارنة وتنشية العبادة بينهم وسمح لهُ بمنح الغفرانات وتعليقها على المسابح والايقونات وتماثيل حمل الله ورخّص لهُ بحلّ الخطايا المحفوظة والمسامحة بالتأديبات الكنسيّة . ثمّ سلّمهُ براءةً تاريخها ١٢ حزيران ١٥٩٦ الى البطريرك سركيس يذكر فيها عناية الكرسيّ الرسولي بالطائفة المارونيّة رغمًا عن بُعدها عنهُ ثمّ يذكر انّ عنايتهُ هذه هي التي دفعت الحبر الاعظم الى تعيين الاب ايرونيموس دنديني الممتاز بتقاه وعلمه وغيرته ليزور الطائفة المارونيّة ويعزّيها في مصائبها ويستعلم عن كلّ احوالها فيوقف عند عودته قداسته على كل حاجاتها . ويختم بذكر ما يرسلهُ معهُ من الهدايا كعربون انعطافه اليه والى ابنائه الموارنة (١)

ثمّ اجتمع الاب دنديني برئيسه العامّ الاب كلوديوس اكوافيفا فعيّن لهُ كرفيق ومستشار الاب فابيوس برونو من افاضل آباء الرهبانيّة الذي تقلّد بعد رجوعه رئاسة المدرسة المارونيّة وسعى بترقيتها ودفع ابرهيم الحاقلاني الى تأليف غراماطيقه السرياني

---

(١) اطلب نصّ هذه البراءة في اللاتينيّة في مجموع البراءات المارونيّة للاب طوبيا العنيسي T. Anaissi : Bullarium Maronitarum, p. 106 وفي تاريخ الكنيسة الانطاكيّة المرسيّة للخوري ميخائيل غبريل (ج ٢ ص ٣٨٦)

اللاتيني . ولدينا المذكرة التي اعطاها الرئيس العام المرسلين في ١٩ باباً وهي مملوءة حكمة وتقى يوصيهما بها كيف يجب عليهما ان يتصرفا في بعثتهما بخصوص واجباتهما الروحية والرهبانية ثم في معاملاتهما مع رؤساء الطائفة المارونية وشعبها وفي زيارة كنائسهم واديرتهم ورعاياهم ليحققا آمال الكرسي الرسولي ويوثقا روابط الايمان والطاعة الواجبة نحوه . واذ كان الابوان يجهلان العربية والسريانية عيّن لهما الرئيس العام بصفة ترجمانين اثنين من تلامذة المدرسة المارونية اللذين كانا انجزا فيها دروسهما القس موسى العنيسي الذي كان عاد الى لبنان في السنة السابقة والشدياق يوسف اليان الحلبي الذي رافقهما في السفر . على انّ جهل المرسلين للغات البلاد اضرّهما كثيراً اذ لم يستطيعا ان يتحققا بنفسهما كثيراً من الامور التي وقف عليها الاب اليانو قبلهما . وكأنّ قصر الوقت لم يسمح لهما بمطالعة كتابات ذلك الاب ورسائله التي وصف فيها لبنان واهله وسائر اموره احسن وصف . وذلك ايضاً كان خللاً اذ حرما عدّة معلومات كانت افادتهما في القيام بمهمتهما وفي الدفاع عن التهم التي اشاعها البعض بحقّهِ زوراً

أبحر القاصد ورفيقهُ وترجمانهُ من مينا تقرب البندقيّة بعد ان لبسوا ثياب زوّار الاراضي المقدّسة وذلك في ١٤ تمّوز ١٥٩٦ . وكان مركبهم مجهّزاً بالمدافع لردّ غارات القرصان الّا ان سفرهم كان ميموناً والريح في الغالب موافقةً . وقد وصف الاب دنديني في رحلتهِ ما حدث لهم في طريقهم على جزائر اليونان وكندية وقبرس فيتّسع في اخلاق السكّان وعاداتهم واديانهم وخواصّ بلادهم . وزار في قبرس الموارنة المستوطنين فيها . ثمّ ركبوا سفينة أخرى نقلتهم الى طرابلس فبلغوها في اواخر شهر آب ونزلوا ضيوفاً فيها على احد تجار البنادقة فاستراحوا قليلاً من اتعاب السفر ولاسيّما الاب فابيوس الذي بقي مريضاً بضعة أيام

وقد خصّ هنا الاب دنديني عدّة فصول من كتابهِ لوصف اخلاق اهل طرابلس وعاداتهم المختلفة ديناً ودنيا ولاسيّما الاتراك والمسلمين ليوقف مواطنيهِ على امورهم في كلّ اطوار حياتهم

٢ الاب دنديني في لبنان

ثمّ ينتقل الاب الى ذكر صعودهِ الى قنّوبين ماراً بقرية اهدن حيث قدّم الذبيحة

الالهيَّة في معبدٍ على اسم القديس يعقوب «اشبه بقبر منهُ بكنيسة» . ولمَّا قرب من قنُّوبين وجد عدَّة كهنة اتوا لاستقباله باسم السيِّد البطريرك سركيس الذي كان مريضاً ملازم الفراش . وكان وصولهُ في غرَّة ايلول الى قنُّوبين فدخل على البطريرك فوجدهُ جالساً على فراشهِ وقدَّم لهُ براءة الحبر الاعظم ورسائل الكردينال باليوتي محامي الطائفة ورئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام فقبَّل البراءة ووضعها على رأسهِ اجلالًا ثمَّ دار الحديث بين القاصد والسيِّد البطريرك مدَّةً عن احوال الحبر الاعظم والمدرسة المارونيَّة وغير ذلك

وفي الغد شرح الاب دنديني للسيِّد البطريرك الغرَض من سفارتهِ وما يرغبهُ الحبر الروماني من الخير للموارنة فطلب منهُ ان يجمع السادة الاساقفة ليتفاوضوا في امور الطائفة ويتذاكروا في احوالها الدينيَّة والادبيَّة . وهنا اخذ البطريرك سركيس يتشكَّى ويتجنَّى ويتذمَّر تارةً على الحبر الاعظم الذي لم يرسل لهُ سوى براءة بسيطة بدلًا من منشور رسمي كما لأسلافهِ وتارةً على الذين شوَّهوا على زعمهِ صيت الموارنة في رومية وخصوصاً على الاب اليانو مدَّعياً انهُ اتَّهم الموارنة بتُهم باطلة وانَّهُ زوَّر باسمهم بعض الكتابات (كذا) وان المجمع الذي عُقد بحضرتهِ وحضرة الاساقفة المعظَّمين بتوقيعهم كانت اعمالهُ مغشوشة واشياء أُخرى اندهش الاب دنديني لاستماعها ولم يكن مطَّلعاً على حقيقتها فبقي محتارًا في الجواب عنها (١ وانَّما حاول إخماد غضب البطريرك الذي كان المرض يزعجهُ ويثير طباعهُ حتَّى تمكَّن من تطييب قلبهِ وقدَّم لهُ ما ارسلهُ لهُ الحبر الروماني من حُلل اسقفيَّة وآنية ثمينة للحفلات الدينيَّة . أمَّا المجمع الذي طلب الاب دنديني اقامتهُ فرأى ان ما يجري في الشام وتتنذر من الحروب بين الامير فخر الدين الكبير وآل سيفا وامراء الاتراك يحول دون اجتماع الاساقفة الَّا اثنين منهم ففضَّل تأجيلهُ الى زمن آخر ريثما يشفى البطريرك وتهدأ الامور

وكان الاب فابيوس بقي في تلك الاثناء في طرابلس فلمَّا عوفي لحق برفيقهِ وسار كلاهما يتجوَّلان في انحاء لبنان ليستطلعا احوالهُ ويراقبا شؤون اهلهِ وكلّ ما يألفونهُ من العادات في عيشتهم الفرديَّة والعائليَّة والاجتماعيَّة . فعيَّن لهم البطريرك

(١ وقد رأيت في ما سبق بطلان كلّ هذه الشكايات التي لم نجد لها سنداً في كل ما لدينا من كتابات الاب اليانو

ليسير في خدمتهم احد شمامسته المدعو يوسف خاطر فزاروا قرى لبنان وفحصوا ارزها واراضيها ومزروعاتها وحيوانها وطيورها واجتمعوا باهلها فوقفوا على عاداتهم وتنقّدوا احوال رهبانها وراهباتها وفحصوا اديرتهم وكنائسهم . وبحثوا عن امور الاكليروس . وقد نشر الاب دنديني كلّ ذلك في رحلته التي تحتوي من المعلومات عن لبنان وعن الموارنة ما لم يسبقهُ اليه كاتب آخر فجاء كتابهُ كمرآة تاريخ ذلك الزمان وصورة حيّة تمثل كل اطوار حياتهم منذ ولادتهم الى وفاتهم فيصف ملبوسهم رجالًا ونساء وماكولهم ومشروبهم وافراحهم واحزانهم وتمثّلهم في الدين وقلّة معارفهم . وهناك بيان لما يلحقهم من الدولة من الجور وضروب المظالم والاهانات . وفيه ايضاً ذكرُ عادات شتّى بطلت بين الموارنة منذ زمن طويل منها تمثّم رجالهم باللثّة المنيرة وحلقهم لشعر رؤوسهم مع ارخاء لحاهم وتقلّدهم السيوف وتنكّبهم الاقواس (ص ٨٩) ومنها مناولة الشعب على الشكلين : الخبز والخمر (ص ١١٤ و ١١٩) ومناولة الاطفال الصغار . ومنها مباشرة القدّاس وتهيئة الذبيحة قبل ان يلبس الكاهن الحلّة الكهنوتيّة كما يفعل كهنة السريان حاضراً (ص ١١٠ — ١١١) وقد سبق انّ هذه الحلّة كانت ايضاً في أيام دنديني كحلّة السريان اي الغنّارة (ص ١١١) . ومنها انّهم في الصوم يقدّمون الذبيحة عند العصر وينطرون بعدها (ص ١١٦) وللاب دنديني فصلٌ عن رهبان وراهبات ذلك العهد في لبنان (ص ١١٤ — ١١٨) يفيدنا عن عيشتهم ومناسكهم وذلك قبل انشاء الرهبانيّات الحديثة بنيّف ومائة سنة يذكر فيه ما استحسنهُ من عاداتهم وما استنكف منها

وممّا افادنا هناك (ص ١٥٠) ذكر الاعياد التي كانت شائعة عند الموارنة . واضاف اليها الكلنداز السنوي مع جدول الاعياد المفروضة بالاتفاق مع المجمع وهي هذه ختانة الرب . الغطاس . دخول العذراء الى الهيكل . مار متيّا الرسول . عيد البشارة . مار يعقوب ومار فيلبّوس الرسولان . مار يوحنّا المعمدان . مار بطرس ومار بولس . تجلّي الرب . انتقال العذراء . مار برتلماوس الرسول . ميلاد العذراء . مار متّى . ارتفاع الصليب . مار ميخائيل . الرسولان مار سمعان ومار يهوذا . عيد جميع القديسين . مار اندراوس الرسول . مار توما الرسول . ميلاد الرب . القديس اسطفانوس اوّل الشهداء . ما عدا آحاد كل السنة واليومين التابعين لعيد الفصح وصعود الرب . واليومين التابعين

لعيد المنصرة. الثالوث الاقدس. عيد جسد الرب وشفيع المكان

فهذا الجدول اقدم كلندار نعرفهُ للكنيسة المارونيَّة وهو يسبق ٧٧ سنةً كلندارًا اخر نشرناهُ سابقًا عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة في هذه المجلَّة (٨ [١٩٠٥]: ٨٧١ — ٨٧٤). وما من شأنهِ ان يُذهل القرَّاء انَّ لا ذكر فيهِ لزعيمي الكنيسة المارونيَّة القديس مارون الناسك ومار يوحنَّا مارون. وقال الاب دنديني انَّ الكلندار المذكور وُزِّعت نسخهُ على كل الكنائس وامروا الكهنة ان يعلنوا يوم الاحد في القداس بالاعياد الواقعة في الاسبوع

٣ مجمع قنوبين في سنة ١٥٩٦

بعد أن قضى القاصد الرسولي ثلثة اسابيع في قنُّوبين والقرى المجاورة ودقَّق النظر في المناشير البابويَّة المرسلة الى الموارنة من اينوكنت (زخيا) الثالث سنة ١٢١٥ واسكندر الرابع سنة ١٢٥٦ ولاون العاشر سنة ١٥١٥ وغريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٧ ليتَّخذ مضامينها كوادٍ يعرضها على المجمع المنويّ رأى ان صحَّة السيِّد البطريرك قد تحسَّنت نوعًا وانَّ لمور البلاد قد هدأت بعض الهدوء فرغب الى غبطتهِ ان يستدعي الاساقفة الى قنُّوبين فوافقهُ البطريرك ولبَّى الاساقفة دعوة رئيسهم وانتظم عقد المجمع في ٢٨ من شهر ايلول على الحساب الغربي الموافق لليوم ١٨ منه (١ في الحساب الشرقي الذي كان يجري عليهِ وقتئذٍ الموارنة كبقيَّة اهل الشرق

فافتتح الاب دنديني المجمع بتلاوة براءة الحبر الاعظم التي يفوِّض اليهِ فيها ان يعقد مجمعًا ملِّيًا للوقوف على احوال الطائفة ويسعى في كلِّ ما يؤول الى خيرها بواسطة الاكليروس وخصوصًا السادة الاساقفة

ثمَّ تخطَّى الاب الى عقائد الايمان التي كان الحبر الروماني يودّ ان يطَّلع على معتقد الموارنة فيها. فاكاد يعرض ذلك على المجمع حتَّى «طفق السيِّد البطريرك يحتجّ بعبارة مطوَّلة احتجاجًا قويًّا على مجمع كان انعقد في السنين الماضية منكرًا انعقادهُ او تثبيتهُ منهُ او من الاخ سالفهِ. ثمَّ حرم اغلاطًا جمَّة عزاها بعض الناس اليهِ والى قومهِ ورمى

١) جاء في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩) المطبوع حديثًا «في ثاني ايلول» والصواب «في الثامن عشر ايلول»

بالحرم القائلين بها (١ » مؤكداً انهُ لم يزل مرتبطاً بالكنيسة الرومانية وانهُ سيثبت دائماً على ايمانها. ثمّ قام رئيس الشمامسة مدفوعاً بغيرةٍ عظيمة قائلاً : « نعم اننا نريد ان نتبعها ولا ننفصل عنها حيثما سارت ولو انحدرت الى الجحيم » (كذا في رحلة الاب دنديني ص ١٣٥)

فيلوح من هـذا الكلام تعلُّق الموارنة بالكنيسة البطرسيَّة وانفتهم من كلّ الاضاليل الشائعة في المشرق. على اننا لا نفهم كيف امكن البطريرك سركيس «ان يحتجّ على المجمع المنعقد سابقاً سنة ١٥٨٠ منكراً انعقادهُ او تثبيتهُ منهُ او من الاخ سالفهِ » واعمال ذلك المجمع باقية الى اليوم في ترجمتها اللاتينيَّة التي نشرها المرحوم الاب انطون رباط في كتابهِ « مآثر تاريخيَّة للكنائس الشرقيَّة » (ص ١٥٢—١٦٩) وليس هناك ما يمسّ البتَّة شرف الطائفة المارونيَّة وفي آخرها امضاء السيّد البطريرك ميخائيل الرزي واخيه وخلفهِ سركيس. وانَّما فيها اعلان صريح بايمان الموارنة وتشبُّثهم بالكرسي الرسوليّ . امّا اصلهُ العربيّ فلم يُفقد تماماً وقد نشرنا سابقاً (ص ٤٨) خلاصتهُ التي ارسلها البطريرك ميخائيل الرزي الى كنائس لبنان بصفة « وصايا يجب على الجميع قبولها وحفظها ». ولا شكَّ انَّ البطريرك سركيس نسب الى الاب اليانو ما هو براء منهُ وكثيراً ما دافع هذا الاب عن الموارنة وعن صدق ايمانهم وعزا ما وجد في كتبهم من الاضاليل الى الجهل او الى خبث النسّاخ المراطقة. وبهِ تسقط ايضاً احتجاجات البطريرك الدويهي على الاب اليانو الذي ثبت حبَّه الخالص للموارنة ودفاعهُ عنهم بما سبق نشرهُ (٢

وليست اعمال مجمع قنُّوبين هذا الثاني الّا صورة اخرى للمجمع السابق . وقد احسن الطيّب الذكر المطران يوسف نجم بتعريب بنودهِ عن اصلها اللاتيني في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩—١٧) وهذه البنود في عدد ١٣ بنداً صدَّقوا عليها في هـذا المجمع باتّفاق الاصوات مصرّحين باعتقادهم في السيّد المسيح اقنوماً واحداً الهيًّا في طبيعتين ومشيئتين وفعلَين وفي انبثاق الروح القدس من الآب والابن وفي معنى

---

١) في الذيل المذكور (ص ١٠) ٢) انَّ للاب بطرس مرتينوس اليسوعيّ في تاريخ لبنان الذي لا يزال مخطوطاً دفاعاً طويلاً عن الاب جوان باطشا اليانو وردًّا عن التهم الثريَّة التي اشاعها بعض الجهّال في حقّه وردّ عليها الدويهيّ في تاريخهِ

التقديسات الثلث الواردة في كتبهم (Trisagion) وفي وجود المطهر وعموم الخطيئة الاصليَّة ودخول الانفس البارَّة الى السماء قبل الدينونة مع بعض اعتقاداتهم في الاسرار المقدَّسة لاسيَّما التثبيت والقربان الاقدس

وهناك ايضاً ٢١ قانوناً بخصوص الفرائض الدينيَّة والعيشة المسيحيَّة (١ اقرَّها الآباء وألحُّوا في التماس تثبيتها بسلطان قداسة البابا فوعدهم بذلك القاصد الرسولي ثمَّ انحلَّ المجمع في غرَّة تشرين الاوَّل وهو اليوم العشرون من ايلول على الحساب الشرقي

٤ وفاة البطريرك سركيس الرزي وانتخاب خلفه

بعد ارفضاض المجمع اراد الاب دنديني ان يتجوَّل في بعض انحاء لبنان ليماين اديرة الرهبان فانطلق الى حبس قزحيَّا ودير مار انطونيوس المجاور لهُ وكان الرئيس على قزحيَّا المطران يوسف ابن اخي البطريرك سركيس وكان معهُ شقيقهُ سركيس الذي كان تلقَّى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية. اما دير مار انطونيوس فوجد فيهِ الاب دنديني ثلثة اخوة وكلهم اساقفة . ثمَّ انتقل الاب دنديني الى اهدن فتجمهر اهلها واتوا لاستقبالهِ وتحفَّوا بهِ واكرموهُ اكراماً عظيماً فوزَّع عليهم عدداً وافراً من المسابح والصلبان والايقونات فشكروهُ اي شكر على تلك الهبات الثمينة

ثمَّ صعد الاب من اهدن الى دير مار سركيس الذي يبعد عنها ميلاً فسار امامهُ نخبة من رجال اهدن يتمنُّون بالتسابيح كألوف عادتهم عند زيارة السيد البطريرك . فدخل الدير بكل آبهة ورونق وبعد الصلاة في الكنيسة عاد رئيس الدير الذي كان استقامَ طاعناً في السنّ ضريراً . وما كاد يدور الحديث بينهما حتَّى ورد ساعٍ من قنُّوبين يعلم القاصد بان السيد البطريرك أُصيب بنوبة قويَّة وانهُ على وشك النزاع فقام الاب المذكور من ساعتهِ وانتقل راجلاً بكل سرعة الى قنُّوبين لكنَّهُ عند وصولهِ عرف انَّ البطريرك كان فارق الحياة قبل ساعتين وانتقل الى رحمة ربهِ وذلك في ٥ من تشرين الاوَّل (٢ الموافق لليوم ٢٥ من ايلول . فوجدهُ الابوان قد عُرض في الكنيسة

١) تجدها مطبوعة في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٣—١٥) وفي تاريخ الموارنة للدويهي مع صورة المجمع (ص ٢٨٧—٢٩١) ٢) اما الدويهي فيزعم انَّ وفاتهُ كانت في ٧ منهُ

بحلّته البطريركيّة جالساً على عرشه في يده المكنّاز وعلى رأسه التاج وحوله الناظمات والنادبات بجلبة عظيمة . وفي الغد تقاطر الناس من كلّ صوب فدُفن البطريرك بجفلة حافلة في معبد القديسة مارينا المجاور لدير قنّوبين

وقد وجدنا للبطريرك المذكور في سجلّات رهبانيّتنا رسالة وجّهها سنة ١٥٩٢ الى رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يوصيه بقسيسين يرسلهما الى بلاد الفرنج لجمع الحسنات لدير قنّوبين هذا نصّهُ :

الحقير بطرس بطريرك الموارنة

لحضرة الاخ الجنيرال

البركة الالهية والسلام الروحاني الذي خصَّ بهِ سيدنا تلاميذه لما دخل اليهم والابواب مغلقة تلك البركات التي خصَّهم بها وذلك السلام الذي اهداهم اياه ذلك يكون بينه حالّ على الاخ العزيز صاحب الفهم والمعرفة والمشورة الصالحة الاخ البار والاتاء المختار صاحب الفضل علينا وعلى اولادنا الذين في المدرسة هو وتلاميذه . وايضاً نخص في البركة الالهية الجوقة اليسوعية الروحانية تكون البركة حالة عليهم وبين ايديهم وعلى رزقهم ومقتناهم امين

والذي نعرض على المسامع الكريمة كرمها الله بان واصل لعند محبتك اخوتنا القس ابراهيم والقس يعقوب ولهم خاطر انهم يمشوا في البلاد صوب المزارات ونحن مشرفتك ان اين ما راحوا يكونوا مكرمين وان كان برسم فضلك حتى يوشوا للدير شوية نفقات لانهُ كثر علينا ظالم التركي والمحل قطع بلادنا وخلّى داخله وخارجهُ مثل البرّ وهذا الكرسي يا اخي هو ملجأ الفرنج في الفضل وفي كل ضيقة يجي عليهم بقوة المسيح وعلى يدينا في الكرسي يسر كثير ما لهم عدد (كذا) اذا اطلعوا عليهِ الملوك والتجار بشيء تخرج عليهِ ما هو عيب الله يكون سعك يا اخي انك تمشي لنا درب مثل معرفتك ليكون لنا بها نجي على دربك ويبقى لك الاجر والحسنة عند الله : ومثل محبتك ما يدل على صواب وعندك فهم يغني عن طول الشرح وبعد البركة والسلام عليك وعلى اخوتك العزيزين تلاميذنا كل واحد باسمهِ والشكر والخير لله رب العالمين آمين

برز من دير قنّوبين جبل لبنان المبارك بيد الحقير بطرك الموارنة طانع ومعتقد كرسي بطرس بابا رومية سنة ١٥٩٢ مسيحيّة ثامن يوم من شهر تشرين الآخر

قال الدويهي في تاريخهِ : « وفي النهار التاسع خلفهُ في البطريركيّة يوسف ابن اخيهِ موسى الرزّي ولهُ من العمر ٤٦ سنة وهو الثامن من البطاركة في دير قنّوبين »

اما الاب دنديني فيقول انّ انتخاب خلف البطريرك سركيس صار في ١٩ يوماً بعد وفاته وانّ الاساقفة والاعيان رغبوا اليه ان يُعيّن خلفاً للسيد سركيس فمن شاءهُ اختاروهُ لكنّ القاصد الرسوليّ أبى ان يتداخل بالامر ونزل الى طرابلس ينتظر نتيجة الانتخاب فتمّ ذلك في ١٣ ت ١ بموجب الحساب الغربي الموافق للثالث منهُ في الحساب الشرقيّ . ووقع اختيار الاكليروس والشعب على المطران يوسف الرزّي رئيس حبس قزحيًا وابن اخي البطريرك المتنيح فخلفه على محبسة قزحيًا اخوهُ سركيس تلميذ رومية السابق ذكرهُ

وما كاد البطريرك الجديد يتبوّأ سدّة اسلافه حتّى ارسل واستدعى من طرابلس الاب دنديني . فلمّا قدم اعرب عن سروره بزوياهُ واكّد لهُ انهُ مصمّم النيّة على السلوك بموجب كلّ رغائب الكرسيّ الرسوليّ فانتهز الاب تلك الفرصة ليعرض عليهِ عدّة امور لم تتقرّر في المجمع الاخير فاجابهُ اليها لكنهُ أجّل ذلك الى زمن رجوعهِ من عند امير البلاد ابن سيفا وهو ذاهب ليزورهُ كما كانت العادة جاريةً قبلهُ

فلمّا خرج البطريرك لمقابلة الامير اراد الاب دنديني ان ينتهز تلك الفرصة ليزور القدس الشريف مع رفيقهِ ريثما يكون رجوع البطريرك يوسف الى قنّوبين فسافر الى طرابلس ليركب قارباً يقودهُ الى يافا لكنهُ حدثت وقتئذٍ امطار وانواء شديدة منعتهُ من السفر فعاد الى قنّوبين بعد رجوع البطريرك من زيارتهِ لامير البلاد وحضر جنّازًا حافلًا أُقيم في ١٣ ت ٢ لراحة نفس البطريرك عمهِ حضرهُ عدد لا يُحصى من الشعب

فاجتمع الاب دنديني في اثناء ذلك بالبطريرك يوسف وفاوضهُ اوّلًا في امر تلامذة رومية العائدين منها بعد دروسهم كي يعطوهم المراتب التي هم اهلٌ لها فيخدموا الطائفة بعلومهم وآدابهم فاجابهُ البطريرك الى ذلك بأن اقام استفاً على افقيسية (قبرس) موسى العنيسي من العاقورة وسقّف يوحنّا الحوشبيّ وجعلهُ معاوناً لهُ في تدبير شؤون دير قنّوبين (١ . وسقّف اخاهُ سركيس مطراناً على دمشق فخلفهُ على رئاسة دير قزحيًا . وكلّ هؤلاء من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية . وبايماز الاب دنديني

١) في تاريخ الدويهي (ص ١٨٥) انّ تسقيفهُ كان سنة ١٦٠٣ وفيها ارسلهُ سفيرًا الى البابا بولس الخامس . امّا المستفاد من اقوال الاب دنديني ان تسقيفهُ كان بحضوره وكذلك يؤخذ من رواية دنديني انّ سيامة سركيس الرزّي وجرجس عميره كانت سنة ١٥٩٦ لا السنة ١٦٠٠

سليم جرجس عميره كاهناً ثمّ اسقفاً «رغماً عن معاكسة بعض السالكين على غايات شريّة» (ص ١٧٢) سامهُ كاهناً المطران موسى العنيسي ثمّ رقّاهُ البطريرك بمساعدة مطرانين آخرين الى رتبة الاسقفية وعهد اليه بتأليف كتب لارشاد الكهنة وهو الذي كان طبع سابقاً غراماطيقاً سريانياً لاتينياً وعُني بطبع كتاب القدّاس في مطبعة المديشيس

ولمّا رأى الاب دنديني حسن استعداد البطريرك الجديد لاصلاح الامور المخلّة وتحوير العادات الباطلة استلفت نظرهُ الى بعض ما يحسن بهِ استدراكهُ بعد اثبات المجمع المقدّم ذكرهُ فالبطريرك يوسف «لم يكتفِ بأن اثبت ذلك المجمع وسلّم بكل ما فيه باباً باباً وامر بان يرعاهُ الجميع بكل اجتهاد بل جمع اليهِ كلّ الاساقفة بحضرة سفير الكرسيّ الرسولي ايرونيموس دنديني وزاد عليهِ القوانين الآتية» وهي ستّة تجدها مفصّلةً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٧–١٩) وكان تاريخ هذه الزيدات في ٣ تشرين الثاني (١ سنة ١٥٩٦

وقد نشرَ المرحوم رشيد الشرتوني في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٨٩ — ٦٩٣) قوانين مجمع ضيعة موسى كايضاح وتتمّة لمجمعَي قنّوبين في السنتين ١٥٨٠ و ١٥٩٦

ولمّا رأى الاب دنديني انّ سفارتهُ لدى الوارنة قد تمّت على مقتضى رغائبهِ استعدَّ لوداع البطريرك والسادة الاساقفة واراد قبل فراقهم ان يسأم السيّد البطريرك مفكّرةً في بعض الامور لئلّا تبرح عن بالهِ

فممّا ورد هناك ان لا يُرسَل اولاد الى المدرسة المارونيّة قبل بلوغهم السنة الرابعة عشرة من عمرهم ومعرفتهم القراءة والكتابة وان يُعطَوا عند رجوعهم من رومية رتباً موافقة لمعارفهم . ومن وصاتهِ للبطريرك ان يعيّن اسقفاً لقبرس يقيم فيها وكذلك في العاقورة . ومنها ان يرسل الى رومية مَن يقدّم الطاعة باسمهِ للكرسي الرسوليّ (وقد تمّ ذلك سنة ١٥٩٨ كما روى الدويهي ص ١٨٣ اذ ارسل الخوري جرجس بن يونان من قرية ايليج مع الشدياق يوسف اليان الحلبي تلميذ رومية) وفي وصاتهِ ايضاً اشياء كثيرة في اصلاح الرهبان كفصل بيوتهم عن ادرة الراهبات وتقييدهم بالعيشة العمومية وفرض سنة ابتداء على طالبي الترهّب يبرزون بعدها النذور الرهبانيّة الثلثة مع عدم السماح للاخوة بامتلاك شيء من المال . وهناك وصايا

١) لا «تشرين الاوّل» كما ورد سهواً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٩)

أخرى للاكليريكيين والكهنة لاسيَّا لإرشاد الشعب والوعظ أيام الآحاد الخ

وليس في بقيَّة رحلة الاب دنديني ما يهمُّنا فأنهُ زار مع رفيقهِ الاب برونو الاراضي المقدَّسة ثمَّ رجع الى طرابلس وبقيا فيها الى ان امكنهما ان يبحرا الى ايطالية في اوائل كانون الثاني سنه ١٥٩٧ بعد مرورهما بالاسكندرونة ثمَّ بقبرس ومنها الى البندقيَّة فلم يبلغاها الَّا بعد اتعاب واخطار كثيرة في اواسط شهر حزيران. ثمَّ رحلا الى رومية فدخلا المدينة المقدَّسة في ١٧ تموز. واذ كان الحبر الاعظم عليلًا لم يمكن الاب دنديني ان يعرض عليهِ اخبار سفارتهِ الَّا في شهر تشرين الاوَّل فسُرَّ قداستهُ بنجاح السفارة ووعد بانَّهُ يداوم اهتمامهُ بالأمَّة الماورونيَّة مثنياً على اكليروسها وشعبها وإشعاراً بمحبَّتهِ نحوها عيَّن لحمايتها ابن اخيهِ الكردينال ألدُبرندنيني خلفاً للكردينال پاليوتي

ثم نشر الاب دنديني رحلتهُ بعد سنة باللغة الايطاليَّة في رومية فنقلها الى الافرنسيَّة العلَّامة المستشرق ريشرد سيمون سنة ١٦٧٥ وعلَّق عليها عدَّة ملحوظات في مبتدي صفحة تدلُّ على سعة علمهِ باحوال الشرق وحسن نظرهِ وجودة فكرتهِ (لهُ دلة)

الاسقف الطريد

صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة

للمرحوم القنصل الفرنساوي فردينند رنزفال

حدث الواقع الآتي سنة ١٨٥٨. وفيها تعيَّن السيِّد نابوليون بنيامين كُنيس اساقفة على سَراياثو عاصمة الهرسك والبشناق بعد ان قام احسن قيام بأمور اسقفيَّة غَلَطة في الاستانة. وكان السيِّد المذكور يميل الى الدين الكاثوليكي دون ان يُعلن بهِ الَّا انَّهُ كان يتشبَّه في لبسهِ بلبس الاساقفة الكاثوليك فيتردَّى بثوب ذي أزرار وعُرى صغيرة مثلهم تحت البُردة اليونانيَّة الواسعة

وبقي على ذلك مدَّةً حتَّى لحظ الكهنة الذين في حاشيتهِ نَزْعتهُ الى الكثلكة

أخرى للاكليريكيين والكهنة لاسيَّا لإرشاد الشعب والوعظ أيام الآحاد الخ

وليس في بقيَّة رحلة الاب دنديني ما يهمُّنا فأنهُ زار مع رفيقهِ الاب برونو الاراضي المقدَّسة ثمَّ رجع الى طرابلس وبقيا فيها الى ان امكنهما ان يبحرا الى ايطالية في اوائل كانون الثاني سنه ١٥٩٧ بعد مرورهما بالاسكندرونة ثمَّ بقبرس ومنها الى البندقيَّة فلم يبلغاها الَّا بعد اتعاب واخطار كثيرة في اواسط شهر حزيران. ثمَّ رحلا الى رومية فدخلا المدينة المقدَّسة في ١٧ تموز. واذ كان الحبر الاعظم عليلًا لم يمكن الاب دنديني ان يعرض عليهِ اخبار سفارتهِ الَّا في شهر تشرين الاوَّل فسُرَّ قداستهُ بنجاح السفارة ووعد بانَّهُ يداوم اهتمامهُ بالأمَّة الماورونيَّة مثنياً على اكليروسها وشعبها وإشعاراً بمحبَّتهِ نحوها عيَّن لحمايتها ابن اخيهِ الكردينال ألدُبرندنيني خلفاً للكردينال پاليوتي

ثم نشر الاب دنديني رحلتهُ بعد سنة باللغة الايطاليَّة في رومية فنقلها الى الافرنسيَّة العلَّامة المستشرق ريشرد سيمون سنة ١٦٧٥ وعلَّق عليها عدَّة ملحوظات في مبتدي صفحة تدلُّ على سعة علمهِ باحوال الشرق وحسن نظرهِ وجودة فكرتهِ (لهُ دلة)

الاسقف الطريد

صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة

للمرحوم القنصل الفرنساوي فردينند رنزفال

حدث الواقع الآتي سنة ١٨٥٨. وفيها تعيَّن السيِّد نابوليون بنيامين كُنيس اساقفة على سَراياثو عاصمة الهرسك والبشناق بعد ان قام احسن قيام بأمور اسقفيَّة غَلَطة في الاستانة. وكان السيِّد المذكور يميل الى الدين الكاثوليكي دون ان يُعلن بهِ الَّا انَّهُ كان يتشبَّه في لبسهِ بلبس الاساقفة الكاثوليك فيتردَّى بثوب ذي أزرار وعُرى صغيرة مثلهم تحت البُردة اليونانيَّة الواسعة

وبقي على ذلك مدَّةً حتَّى لحظ الكهنة الذين في حاشيتهِ نَزْعتهُ الى الكثلكة

فاسرعوا ووشوا به لبطريرك الفنار فتقدم اليه بالعود من مقامه سرايافو الى الاستانة . فادرك السيد نابوليون معنى هذا الامر وفهم انهُ مطلوب ليقوم بازاء محكمة ومع هذا لم يتريث في اجابته لامر البطريرك وبكل جرأة قدم الى عاصمة الدولة لكنهُ لم يطلب الضيافة في الفنار واتخذ لهُ سكناً آخر امينا في المدينة

فخرج يوماً لترويح النفس في بعض احياء الاستانة واذا برجلين من عصبة المتولين مطافئ البلدة من اشقى الناس وشر العباد هجما عليه كالذئاب ورمياهُ مكرهاً في عجلة مقفلة كانا اعداها لذلك ثم سارا به كلمح البرق الى جهة أدرنة . وقد حدث الامر على فور بالقوة الجبرية دون ان يستطيع احد الحضور في ذلك الحين ان يحتج على الجانيين او يصدهما عن العمل وكان الشقيان قد احتاطا لنفسيهما واستخرجا من الباب العالي بواسطة الفنار فرماناً يجيزانه لكل من يتصدى لهما في فعلهما الاثيم ولو كانوا من رجال الشرط

على انَّ الخبر ما لبث ان انتشر في العاصمة فاستنكف منهُ كل من سمعهُ من اهل العدل وارباب الصلاح . والتجأت القصادة الرسولية في الاستانة الى سفير فرنسة هناك المسيو توفنيل (M. Thouvenel) ليتقذ المظلوم من ايدي اعدائه . فتقدم السفير الى الصدر الاعظم رقيماً طالباً بالحاح من البطريركية اليونانية تحرير السيد نابوليون بنيامين . لكنَّ البطريرك انكر بكل عتو وقوفهُ على هذا الامر مؤكداً انهُ يجهل الواقع تماماً ولا علم لهُ بما جرى بحق الاسقف المظلوم وباي مكان هو

فلمَّا رأى السفير حبوط مساعيه بالطريقة الرسمية لدى الدولة حاول بنفسه كشف السرّ المكنون واثقاً بنشاطه وذكاء عقله لتلك اغلال ذاك الاسير البئيس . فبحث عن وسيلة للبلوغ الى حبسه لينال من يده وثيقة يقدمها لارباب الدولة العثمانية تضطرهم الى طلب حرية الاسقف الطريد ضحية الظلم والاستبداد

ولكن ليت شعري كيف الوصول الى السجين ولا احد يعلم في اي مكان حُبس ! على انهُ ليس امر عسير على العناية الصمدانية التي ساعدتنا بنوع عجيب

كلّ يعلم انَّ بين الاديار التي اعتاد الروم اليونان الحجّ اليها مزارين خصوصاً مبنيين فوق صخور شاهقة وكلاهما مشهور بقدمه وبما ينسبهُ اليه العموم من الأقاصيص الغريبة احدهما دير جبل آثوس في مقدونية والآخر دير مار يوحنا الربيلي القريب من

مدينة سماكوف في بلغارية موقعهُ في اعلى قمم جبال البلقان. فخطر على بال السفير مسيو توشيل انَّ الاسقف الجليل قد يكون حُبس في احدهما لوحشة موقعها وبُعدهما عن كل مجتمع بشري وبناء عليهِ كتب للحال الى المسيو شَمپوَزو (Champoiseau) النائب القنصلي في فيليپي (Philippopolis) ليسعى بالتفتيش عن الطريد في احد هذين الديرين

وكنتُ الفقير وقتئذٍ من عمَّال قنصليَّة فيليپي فاستدعاني وعهد اليَّ بتلك المهمة لعلمهِ بمعرفتي التامَّة للُّغة اليونانيَّة ووقوفي على كلّ عادات الروم الارثذكس فرّجح كوني اجدر بهذه المهمة من غيري فاتمكَّن من انقاذ السيّد نابوليون

*

فخرجت من فيليپي مختارًا بنفسي لا اعلم ما ستكون نتيجة بعثتي هذه. فسرتُ متَّجهاً الى مدينة سماكوف الواقعة في سفح الجبل الذي في قممهِ مبنيّ دير القديس يوحنَّا الربلي. فقدَّمتُ زيارتهُ اوَّلًا قبل دير أتوس لوقوعهِ على طريقي مؤجّلًا سفري الى جبل اتوس اذا ما خابت ظنوني في دير سماكوف

فسرتُ الى هذه المدينة وبلغتها بعد ثلثة أيام ونزلتُ فيها ضيفاً على الدكتور أنتربرغ (Dr Unterberg) المتولّي فيها امور دولة النمسة والنمسويين المتعدّدين الذين استوطنوا تلك المدينة لتعدين معادن حديدها الغنيَّة. وكان نائب القنصل النمساوي في فيليپي كتب اليهِ يوصيهِ بحسن استقبالي فرحَّب بي ولم يدَّخر وسعاً في إراحتي فهيأ لي فراشاً وثيرًا لليلتي واتاني بما لم انتظرهُ من المعلومات كما سترى

فبعد العشاء اخذنا نتداول الحديث الشجون فعرفتُ من كلام الدكتور انهُ كاثوليكيّ فنشَّطني علمي بدينهِ ان أشير امامهُ الى الوقائع الحديثة مازحاً فسألتهُ هل بلغهُ ما جرى لرئيس اساقفة سرايافو السيّد نابوليون

- فاجاب الدكتور على الفور: أجل اني اعرف قصَّتهُ برمَّتها وقد دُعيت آخرًا لاجبر لهُ ساقهُ المكسورة لمحاولتهِ الفرار من حبسهِ

فلم اكد انتالكُ عن إبراز عواطفي لدى استماعي هذا الكلام لكني ضبطتُ نفسي وتظاهرتُ بعدم الاكتراث فقلتُ: أو لعلَّهُ هنا ؟

فانحنى الدكتور اليَّ كأنهُ يبوح بسرّ خفي قائلًا: نعم هو محبوس في دير مار

يوحنّا الريلي الذي صرتُ منذ زمن قليل طبيبَ رهبانهِ الرسميّ . امّا الاسقف فهو في حالة يُرثى لها ولذلك اراد النجاة من مضطهديهِ فاخذ قِطَعاً من جوخ عتيق وجدها تحت يدهِ فعقدها مع بعضها كحبلٍ مدَّهُ من نافذة قلّايتهِ وتمنطق بهِ الّا انَّ حبلهُ انقطع في الهواء فسقط على الحضيض وانكسرت ساقهُ فحملهُ الرهبان الى حبس آخر وضاعفوا نحوهُ سوء معاملاتهم

فاستفدتُ من هذا الحديث كلّ ما كنتُ راغباً في معرفته ولذلك كففتُ عن السؤال الزائد لئلا يشعر الدكتور بسبب سفري وحتّى انظر كيف اتصرّف في امري في الغد

فما كاد يسفر الصباح حتى نفضتُ من الفراش بكل نشاط وبذلْ الرجاء في ادراك غايتي واعددتُ رُزمة أمتعتي الصغيرة وسرتُ مع خادم ألباني امين من عمّال قنصليتنا في فيليبي وكانت وجهتي الى دير مار يوحنّا بصفة احد زوّارهِ . ولحسن الحظّ كان ذلك النهار يوم عيد القديس شفيع الدير فأمكنني ان اختلط ببقيّة الزوّار دون ان تقع عليّ شبهةٌ ما

ولا بُدَّ ان أضيف هنا شيئاً مهمّاً الى ما سبق : كنتُ قبل ان اتجشّم السفر قد واجهتُ في فيليبي السيد كانوفا اسقف هذه المدينة اللاتيني من رهبنة الكبوشيين فسمح لي ان احضر في كنائس اليونان كلّ رتبهم الدينيّة وان اتقرّب عندهم لقبول الاسرار على شرط ان لا يتشكك احد من فعلي هذا . فاستنادًا الى هذه الرخصة اتممتُ كل الفرائض الدينيّة الجارية عند الروم وشاركتهم في مطانيّاتهم وفي كلّ حركاتهم وسكناتهم وانا لا اجهل منها شيئاً اذ كنت مولوداً في جزيرة زَنْتي الغالب على سكّانها الطقس اليوناني الارثذكسيّ فكنتُ متقناً لكل رتبهِ . وكنتُ ايضاً اتخذتُ لي اسماً يونانياً فدعوتُ نفسي ديونيسيوس باسم احد الرهبان القديسين المكرَّمين في جزيرة زَنْتي . فبعد ان انجزتُ كلّ صلواتي وكرّرت مطانيّاتي خرجتُ من الكنيسة وطلبت ان ازور الدير

فاتّفق ان الرئيس عيّن لمرافقتي شمّاساً يونانياً من الاستانة كانت البطريركيّة ابعدتهُ ليسكن هذا الدير تكفيراً عن بعض الذنوب التي كان اقترفها بأكثر شبابهِ . وكان هذا الشمّاس في مقتبل العمر وسيم الوجه يُدعى اغاثنجلوس وكان يلوح على منظرهِ

انهُ مضنوك القوى ومتضايق في سكنى هذا الدير الذي يحول دونهُ ونوال رغائبهِ في رخاء العيش والحرّية المشتهاة

فما كدنا نتعارف حتّى اخذ يفتح لي قلبهُ ويعدّد لي اوجاعهُ ويذكر امتعاضهُ من معاشرة الرهبان البلغاريين العائشين في هذا الدير. ويذكرهِ اسم البلغار اظهر في لهجتهِ ما يدلُّ الى بغضهِ لهم واستخفافهِ بهم . والامر ليس فيهِ ما يجلب الاندهال لأنَّ اليونان والبلغار مع كونهم على دين واحد لا يزالون يتشاحنون ويتباغضون

وعند المساء عاد اليَّ الشمّاس فزاد انساً وانبساطاً لِما شعر بهِ من الهدوء بقرب الشمس الى المغيب ولمنظر الطبيعة البهيج وبما سقيتهُ من الروحيّات تهيئةً لاكل العشاء فأخذ في الكلام عن امور شتّى الى ان قال لي بغتةً بصوت خافت :

قد زعمت انكَ سكنت في الاستانة في حيّ غلطة فلابُدَّ انكَ عرفت هناك السيّد نابوليون بنيامين رئيس اساقفة سرايافو الشهير او تكون على الاقلّ سمعتَ باسمهِ

قلتُ : نعم اني سمعتُ بذكرهِ وبقصّتهِ ولكن بطريقة مبهمة غير واضحة

قال : أيمكنكَ يا سيّدي انَّ هذا الاسقف هو عندنا في هذا الدير وانهُ لا يبعد عنّا الّا بمسافة بضع خطوات ؟ .. أسفي عليهِ ! ... فاني اظنّهُ شريد العقل مموساً بفهمهِ ! .. قد خطر في بالهِ فكر غريب .. يريد يتبع الشيعة البابويّة ! ... فهذا يا سيّدي امرٌ مستقبح .. هذهِ مصيبة لهُ وللأمّة الارثذكسيّة جمعاء ! .

قال هذا وهو يُشعرني بصوتهِ انهُ متحسّر على ضلال الاسقف وانَّ الرحمة غالبة على قلبهِ . ثمَّ اردف قائلاً : «اما انا فكلُّ ما تسنح لي الفرصة لأراهُ ابكّتهُ على فعلهِ . ولذلك يعدُّ مواجهتي لهُ كعذاب اليم واذا حادثتهُ سكت واجماً لا ينبس ببنت شفة »

قلت : «لا غرو من فعلهِ هذا فانكَ انت شابٌّ فكيف يرضى شيخ جليل مثلهُ ان يسمع تبكيت فتًى في مقتبل العمر . ولعلّهُ ينصت الى كلام رجل غريب يتكلّم امامهُ ليس باسمهِ فقط بل يوقفهُ على ما هو شائع من الرأي العام »

فوقع كلامي هذا موقع الاستحسان في قلب اغاثنجاوس ورأيت في ملامح وجههِ انهُ اثّر فيهِ ولذلك اردفتُ قائلاً : ألا يمكنني ان اراهُ

قال الشمّاس : لا بأس ان تجرّب ... فلعلّكَ تستطيع ان تهدي هذا الضالّ

المسكين . . واني لأعلم انهُ اذا رآني يبقى على جمودهِ ولذلك اني سأدعك معهُ وابتعد عنكما بعد ان أقودك الى قلايتهِ

فرضيتُ بما عرضهُ عليّ دون ان اظهر اثرًا من الانبساط كأني اشكُّ في نتيجة زيارتي لاعادة النعجة الضالة الى حظيرتها ولو استطاع اغاثنجلوس ان يرى ما حاز قلبي من الفرح لأخذهُ الانذهال من ممارضتهِ بين خفايا نفسي وجمود ظواهري

وبعد ان تعشّينا سواء، بكل انشراح عيّن لي لليوم الثاني موعد زيارتي للاسقف ثمّ سلّمنا على بعضنا وارينا الى فراشنا

*

سبقني الشمّاس في صباح يوم الغد مستأنسًا بمأمورتي وهو كاد يعدّني كاحد مواطنيهِ . فاسرعتُ الى استقبالهِ فاخذني معهُ وقادني في دهليز طويل وضيّق حتّى بلغنا الى باب مظلم شبيه بباب السجون . وكان قلبي يجبُ وجبانًا قويًا وكاد التأثر يخنقني . ففتح الشمّاس الباب واذا بي رأيتُ ويا للاسف وجلًا جاثيًا الناظر ياهز الحسين وهو جالس على الحضيض على جبهتهِ غضونٌ وعلى وجههِ تجعّدات من تأثير الاوجاع والجوع . . ذلك السيّد نابوليون ! . . وكان بقربهِ على الارض مثلهُ ولدٌ لا يزيد عمرهُ على ١٢ سنة . وهو يرقّع للاسير بعض اسمالهِ المتخرّقة والولد احد طالبي الترهّب كان في خدمة الاسقف يقرأ لهُ ويكتب ما يملّهُ عليهِ . وكان ضو . خفيف ينفذ الى القلاية من كوّة فيها فيزيد منظر ذاك المكان كدرًا ووحشة . ففي هذا الحبس كان الرهبان ألقوا الاسقف الطريد بعد محاولتهِ النجاة من ايديهم وموقعهُ في وسط الدير حيث لا سبيل الى الفرار

فلمّا رأى السيّد نابوليون انّ باب حبسهِ قد فُتح رفع رأسهُ منذهلًا واذ لمح وجه الشمّاس دليلي اكبَّ منحنيًا . فاخذ اغاثنجلوس يشرح لهُ سبب زيارتنا لكنّ الاسقف لزم السكوت كعادتهِ ولم يجب بكلمة فالتفت رفيقي اليّ قائلًا : ترى اننا لا نستفيد شيئًا وهو يأبى ان يكلّمني فأدعك وحدك معهُ وأطلب من الله ان يؤيّدك بعونهِ . قال هذا وخرج واقفل الباب فبقيتُ وحدي بازاء السيّد بنيامين

أنّى لي ان اصف ما شعرتُ بهِ حينئذٍ من العواطف المتباينة كالترحّم على الاسير والغيظ على مضطهديهِ ولاسيّما الفرح لفوزي بالمرغوب ! . . . لكنّ قيامي بالواجب

أتخمد في تلك الشواعر لئلا تفوتني برهة من ذاك الوقت الثمين . فأسرعتُ الى الباب ومكّنتُ منهُ الزلاج وتحقّقتُ انهُ ليس ثمّ أُذنٌ صاغية تُراقبنا ثمّ عدتُ الى جهة الاسقف وخررتُ على اقدامه وقبّلتُ يديهِ بمنتهى الشوق

فرفع اليَّ عينيهِ بعد ان بقي ناكساً واجماً ونظر اليَّ نظير الرجل الحذر كأنهُ يقول بلسان حالهِ: أَلستَ تريد ان تخدعني

أمّا انا فقلتُ لهُ بكل الثقة : « سيّدي السرعةَ كلَّ السرعة . أما عندك هنا قرطاس وقلم وحبر ؟ فارجوك ان تخطّ بيدك كتاباً تُعلن فيهِ بحبسك في هذا الدير

ففكّر الاسقف هنيهة كانَّ الرجاء بالخلاص احياهُ ثمّ قال: نعم اني استطيع ذلك ولكن يوم غدٍ اذ ليس عندي اليوم شيءٌ من ادوات الكتابة

فاردفتُ قائلاً لما خالج نفسي من الريب : ومن هو هذا الولد الذي كان يجوارك عند دخولي أيوثَق بهِ ؟

قال الاسقف : لا خوف علينا منهُ فانهُ نعم الفتى يودّني ويتفانى في خدمتي

فتفاوضنا اذ ذاك في اي طريقة يمكن السيّد نابوليون ان يبلّغني كتابهُ فاتّفقنا على تسليمهِ الكتاب الى خادمهِ الصغير فيأتي بهِ ويضعهُ في احد المستراحات المختصّة بالزوّار . فبعد ان قرّرنا هذا الامر ودّعتُ الاسقف وخرجت من قلّايتهِ . ثمّ واجهتُ الشمّاس لأعلمهُ بإصرار الحبيس على افكارهِ

وفي صباح اليوم التالي قمتُ باكرًا اترصّد مجيءَ الولد فجاء في الوقت المعيّن وليس هناك احدٌ من الزوّار فما دخل المستراح ووضع الكتاب في كوّة منقورة في حائطهِ ينفذ منها نورٌ ضئيل حتى خرج وتبعتهُ فوجدت قوطةً زرقاء من الخيش ملفوفةً وضمنها المكتوب المرغوب الذي خرجتُ للحصول عليهِ فتجشّمتُ كلَّ هذا العناء . ولولا وقوفي في ذاك السرح الغريب واحتياجي الى حفظ هيبتي متظاهراً بعدم الاكتراث لأندفعتُ مترنّمًا بتسبحة الشكر (Te Deum) بل الفؤاد لكنّني طويتُ ذلك في صدري وسبّحت لله في قلبي

وبعد هنيهةٍ عدتُ الى قلّايتي وهناك بازاء ملائكة السماء الذين مهّدوا طريقي خررتُ ساجدًا وتلوتُ آيات الشكر لذاك الذي بارك مشروعي العسير بنوعٍ محسوس ولم يبق لي بعد هذا الّا الترحال فودّعتُ الشمّاس اغاثنجلوس ورهبان الدير

ثمَّ قفلتُ راجعاً الى فيليبي فوصلتُ اليها بعد ايَّام والسرورُ طافحٌ من جنانيَ فسلَّمتُ رئيسي كتاب السيِّد بنيامين كعلامة انتصاري. فاهتزَّ فرحاً لهذا النبإ واسرع فارسل الى سفير فرنسة المسيو توفنل الكتابَ الموماً اليه فاخذه السفير وقدَّمهُ رسميًّا للصدر الاعظم ليفكَّ اغلال السيِّد نابوليون بنيامين ويطلق سراحهُ

فلمَّا وقف الصدر الاعظم على هذا الكتاب وهو المتَّفق مع بطريرك القسطنطينية لتوقيف الاسقف الكاثوليكي اخذ منهُ الاندهاش كلَّ مأخذ وهو لم يعلم بايَّ طريقةٍ امكننا الحصول على هذه الوثيقة. لكنَّهُ لم يستطع إنكار مضمونها فارسل الى بطريركيَّة الفنار وطلب ان يُطلق سبيل السجين وبعد ايَّام قليلة اخرجوهُ من مكمنهِ وسلَّموهُ الى ارباب الدولة في سماكوف ثم وجَّهوهُ الى فيليبي راكباً عربةً فوصل الينا منهوك القوى بعد تعب السفر ومشقَّاته الشديدة في حبسه. فنزل عندنا في دار القنصليَّة ضيفاً كريماً واقام يومين فسُررت لمرآهُ ايَّ سرور وشاطرتُهُ غرفتي للمنام. ومن فيليبي ارسلناهُ الى ادرنة واوصينا بهِ المسيو فرنزًا نائب قنصلها الذي عُني بتسفيرهِ الى الاستانة فاحتفى بهِ السفير وحاشيتهُ واكرموهُ إكرام اولياء الله وشهداء الايمان

وبقي السيِّد نابوليون بعد رجوعهِ من منفاهُ مجاهراً بايمانهِ الكاثوليكي منقطعاً الى الله وكان يعيش في دير الآباء الفرنسيسكان في حيِّ بيرا فيتمم عندهم في كنيسة مار انطونيوس كلَّ فرائضهِ الدينية شاكراً لهُ تعالى على ما انعم بهِ عليهِ من معرفة الايمان المستقيم والعيشة في حظيرة خليفة هامة الرسل وراعي كنيسة المسيح التي لاجلها كان رضي بتضحية حياتهِ. وبقيتُ اكاتب سيادتهُ من وقتٍ الى آخر حتَّى تراكمت عليَّ الاشغال في المناصب الرسميَّة التي قلَّدتني ايَّاها دولتي فاضطررتُ ان اقطع تلك العلاقات الوديَّة وتلك الذكرى الطيبة والمبهجة للقلب

وقد بلغ الكرسيَّ الرسولي خبرُ نجاة السيِّد بنيامين العجيب فأثاب رئيسي المسيو شمپوزو ومنحهُ وسام القديس غريغوريوس ونلتُ انا الفقير وسام القديس سلوستروس جزاء لخدمتنا للكنيسة. اما السيِّد بنيامين فبقي عزيزاً مكرَّماً الى وفاتهِ الصالحة في السنة ١٨٩٧

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث عشر

الشعر النصراني وشعراء النصرانيّة بين عرب الجاهليّة واوّل الاسلام

هذا آخر فصل من كتابنا «النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة» نختم بهِ القسم الثاني منهُ المختصّ بآداب النصرانيّة. وقد أجلناهُ الى آخر الكتاب لنجعل كلّ ما سبق كتوطئة لهُ اذ كان غرضنا ان نبيّن نصرانيّة معظم الشعراء الذين سبقوا الاسلام

١ اصل الشعر العربي

زعم بعض المؤرّخين المتفيهقين انّ الشعر العربي سبق الاسلام بمئين من السنين بل سبق ميلاد السيّد المسيح باجيال عديدة حتّى نسبوا منهُ نُتَفاً الى زمن نبيّ يدعونهُ هوداً يزعمون انهُ عاش قبل ابرهيم الخليل في الالف الثالث قبل المسيح. وتوغّل غيرهم في غارهم وارهامهم فرووا لآدم ابي البشر ابياتاً رثى بها على رأيهم ابنهُ هابيل القتيل فعارضهُ فيها ابليس الرجيم (١)

تلك مزاعم يضحك منها العلماء ويضرب بها عرضَ الحائط كلُّ من لهُ ادنى إلمام بتاريخ اللغات عموماً واللغة العربيّة خصوصاً

وقد ارتأى البعض انّ سفر أيوب الموروث في التوراة عربيّ الاصل عربيّ اللهجة والتصوّرات شعريّ الصورة وقد استوطن أيوب صاحبهُ غربيّ جزيرة العربيّة في البثنيّة وضمّن آياتهِ كثيراً من التشابيه والاوصاف الشائعة بين العرب كذكر النجوم ووصف الخيل وغير ذلك. نجيب على هؤلاء انّ في هذا الرأي نظراً لاسبابٍ منها انّ سفر أيوب

(١) اطلب المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٤٨٩ – ٤٩٣)

لا يعرف منهُ منذ نحو ثلاثة آلاف سنة غير ترجمتهِ العبرانيَّة ثم ليس لدينا حجَّة قاطعة يمكننا ان نستند اليها لنثبت كتابتهُ في لغة اخرى فانَّ مضامين هذا السفر والتقليد اليهودي القديم لا يذكرانِ شيئاً من ذلك. وعلى كلّ حال اذا صحّ قول العلماء بان سفر أيوب كتب بالاصل في العربيَّة فلا شكَّ ان تلك العربيَّة كانت مختلفة عن عربيتنا التي هي لهجة بعض قبائل الحجاز لهجة قريش التي لم تشعّ الَّا بعد قرون عديدة. ولعلَّها النبطيَّة او انهُ أخرى اقرب الى الاراميَّة منها الى العربيَّة. ومن ثمَّ ليس من الممكن الاستناد الى هذهِ اللغة المزعومة لجعلها اصل شعرنا العربي في الوقت الحاضر

وان تنبَّهنا بعد ذلك سياق الاجيال متحدرين الى اوائل النصرانيَّة لا نجد ذكرًا للغة العربيَّة الَّا بعض تقاليد مستحدثة رواها الرواة بعد الاسلام لا يوثق بها. ولسنا لننكر انَّ العرب في تلك الاثناء تكلَّموا بلغةٍ خاصَّة لكنَّ تلك اللغة كانت تختلف اختلافاً عظيماً في كل قبيلة على اختلاف مواقعها في انحاء الجزيرة وتأثير اللغات المجاورة لها وحالة المتكلمين بها من اهل حضَر او اهل المدَر فيطلقون على كلّ هذه اللهجات اسم اللغة العربيَّة كما يطلقون اسم العرب على اهل الجزيرة مع اختلاف عناصرهم القحطانيَّة والعدنانيَّة والاسمعيليَّة

ولعلَّ بعض رجال تلك القبائل بعد ان بسط الرومان سيطرتهم على نواحي العرب قلَّدوهم بعض اعمالها دوَّنوا شيئاً من مآثر لغتهم فأخذتها ايدي الضياع. ومن الشواهد الحسنة التي يمكننا ان نثبت بها قولنا كتابةٌ حجريَّة وُجدت في رومية سنة ١٧٧٣ (١ راقية الى اوائل القرن الثاني للمسيح في عهد تراجانوس القيصر. وهذه الكتابة لاتينيَّة كتبها ورَّاق عربي اسمهُ مرقس اوليوس كستوراس كان رافق حملتي الرومانيين في غالية وفي سوريَّة فجعلها على ضريح رجل اسمهُ مرقس اوليوس سيفورس كان معهُ في الحملتين:

M. ULPIUS SYMPHORUS, VIXIT ANNIS XXIV . . . ULPIUS CASTORAS LIBRARIUS ARABICUS BENE MERENTI QUOD IS EXPEDITIONIBUS DUABUS GALLIÆ ET SYRIÆ SECUM FUERAT

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (J. As. 1840 1. p. 199) وكتاب ليتورمان في الكتابة الفينيقيَّة Essai sur la propagation de l'Alphabet Phénicien. II, 145

فذكرُ ورّاقٍ او كاتب عربي في ذلك العصر من الامور الغريبة التي تثبت ما كان للعربيّة من الشأن في تلك الأيام. ولكن ما هي تلك العربيّة التي المشار اليها أهي عربيّة قريش ؟ او النبطيّة او الحميريّة او لغة قبائل الشام الخاضعة للرومان ؟ كلّ ذلك محتمل ولا يمكن بتُّ الحكم به. وما لا شكَّ فيه انّ ذلك الكاتب لم يخطّ كتاباته بالقلم العربيّ الذي برز للوجود في اواسط القرن السادس للمسيح فقط. وانّما كانوا يكتبون قبل ذلك بأقلام لغات أُخرى اخصّها في جنوبي جزيرة العرب الحميريّة والسبئيّة وفي الشمال بالنبطيّة والثموديّة واللحيانيّة والصفويّة وقد وُجدت من كلّ هذه الخطوط امثال مختلفة في جهات العرب يرقى بعضها الى ما قبل المسيح

وقد سبق لنا القول انّ اقدم كتابة تقربُ لهجتها من عربية قريش هي الكتابة الضريحيّة التي وُجدت في جهات الصفا على قبر ملك العرب امرئ القيس بن عمرو وتاريخها في ٧ من شهر كانون الاوّل سنة ٣٢٨ للمسيح. وهي مكتوبة بالحرف النبطي الجميل نورد هنا رسمها. امّا لغتُها فمع قربها من لغة قريش اي لغتنا الفصحى لا تزال مضطربة مشوّشة مختلطة بالفاظ غريبة

فان كان المنثور في القرن الرابع للمسيح على هذه الصورة فما قولنا بالموزون ؟ ولنا هنا ايضاً شاهد صادق على انّ العرب في ذلك الجيل لم يجهلوا الشعر. وهو لاحد المعاصرين المؤرخ اليوناني سوزومان (١) فانّهُ في تاريخهِ الكنسيّ في الفصل الثامن والثلثين منهُ يذكر محاربة ماويّة ملكة عرب الشام للرومانيين وانتصارها على جيوشهم ثمَّ تنصُّرها وتنصُّر قومها على يد احد السيّاح المدعو موسى. فهناك يصرّح المؤرخ بما شاع من الاغاني الحماسيّة بين رعايا ماوية يمدّدون فيها مآثرهم وغاراتهم على الرومان وهذا نصُّهُ (١):

Haec ita gesta multi ex earum regionum incolis etiamnum commemorant et apud Saracenos vulgo cantibus celebrantur.

ومما يقوله المؤرخ سوزومان عن الاغاني الحماسيّة يجوز ان نطلقهُ على بقيّة امورهم كالافراح والاحزان والمديح والغزل والفخر لانّ الغناء غريزة في الانسان. ولكن يا ترى ماذا كانت اوزان تلك الاغاني ؟ كم كانت اجزاؤها ؟ كيف كان ايقاعها ؟ وهل

1) Sozom.: H.E, *L. VI, ch. 38,; Migne, pp. GG, LXVII, col.* 1410

جدول اقدم الكتابات العربية

١ كتابة عربيّة بخط نبطي تاريخها سنة ٢٢٣ لبصرى ٣٢٨ للمسيح
وجدها في غارة من اعمال حوران للمستشرق دوسو

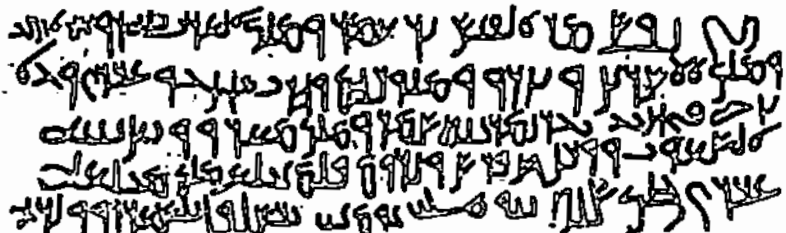

صورة الكتابة مأخوذة من الحجر

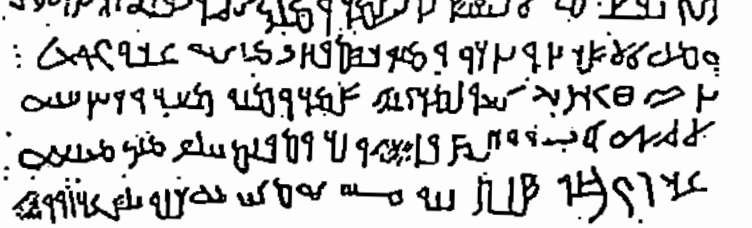

رسم الكتابة بالخط

في نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كلّهِ ذو أسر التاج
ومَلكَ الاسدين وتزادو وملوكهم وعرّب حجو عكدي وبناه
بزجاي (؟) في حَيْج نجران مدينت شتر ومَلكَ معدو وبيّن بنيه
الشعوب وو كلهنّ فارسو لروم فلم يبلغ ملكٌ مبلغهُ
عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولدهُ

رسم الكتابة بخط عربيّ (نقلاً من كتاب دوسو)

صورة القلم الحميري

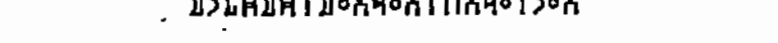

صور ونصب سعداوم دمدمرم

٢ً كتابة زَبَد في ثلث لغات يونانيّة وسريانيّة وعربيّة
على مشهد اقيم ذكرًا لمار سرجيوس تاريخها ٨٢٣ للاسكندر ٥١٢ للمسيح
اطلب صورتها في القسم الاوّل (الصفحة ١٠٤)

٣ً ـ كتابة عربيّة يونانيّة وُجدت في حرّان من اعمال حوران
تاريخها سنة ٤٦٣ البصرى و٥٦٨ للمسيح

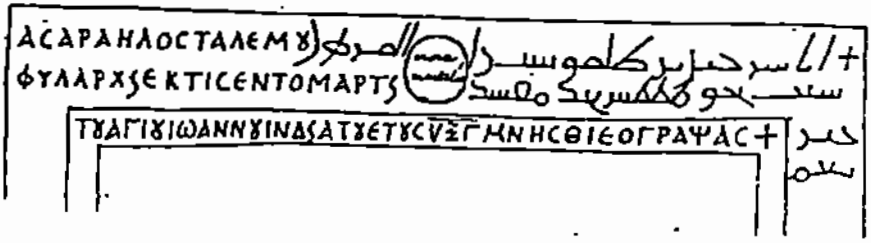

٤ً مثال خطّ عربي نسخيّ على البردي تاريخهُ السنة ٢٤ للهجرة (٦٤٦ م)

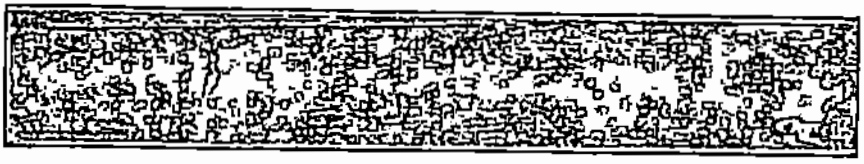

٥ً قطعة من سورة البقرة عن رقّ من القرن الثالث للهجرة في مكتبتنا الشرقية

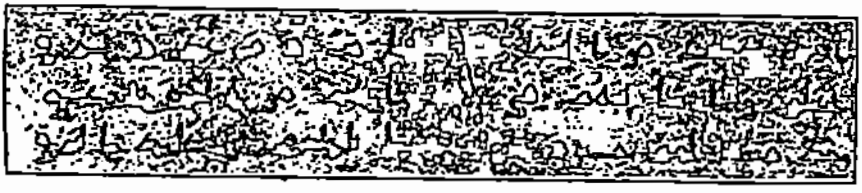

ودونك رسمها بالحرف الاسطرنجيّ للمقابلة بين الخطّين

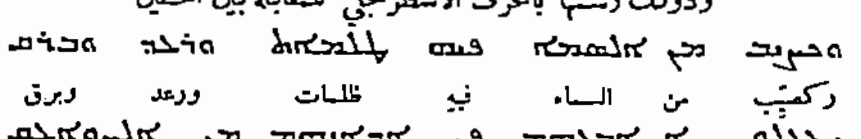

وكمثل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق
يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق
حذر الموت والله محيط بالكفرين (كذا) ويكاد البرق ...

كانت لغتها فصيحةً كلغتنا او بالاحرى كانت لهجةً خاصّة لتلك القبائل ؟ اننا نجهل كلّ ذلك

فلكي نستطيع ان نبني كلامنا على اساسٍ متين لا بُدّ ان نتقرّب الى زماننا بزهاء مائتي سنة اعني الى اوائل القرن السادس للمسيح فان الشعر العربي الموزون ذا الاجر المتعدّدة والايقاع الثابت لا تُرى آثارهُ قبل ذلك

ويؤيد قولنا اتّفاق كتبة العرب الاقدمين. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (١ : ٢٧) : « امّا الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ اوّل من نهج سبيلهُ وسهّل الطرق اليه امرؤ القيس بن حُجر ومهلهل بن ربيعة . . . فاذا استظهرنا الشعر وجدنا لهُ الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام »

وذكر السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) لعمر بن شبّة في طبقات الشعراء قولهُ : « وهؤلاء النفر المدّعى لهم التقدّم في الشعر متقاربون لعلّ اقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة او نحوها »

على انّ هذا القول يصحّ في القصائد المطوّلة ليس في الابيات القليلة التي لعلّ بعضها يرتقي الى اواسط القرن الخامس . قال محمّد بن سلّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص ١٨) : « لم يكن لاوائل العرب من الشعر الّا الابيات يقولها الرجل في حادثةٍ وانّما قُصّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطّلب وهاشم بن عبد مناف »

فيبقى البحث عن تلك الابيات المفردة والقليلة فكيف اهتدى الى نظمها العرب ؟ هل ابتكروها دون علم سابق ؟ او حذوا فيها حذو غيرهم من الامم المجاورة لهم كالحبش والروم والسريان ؟

قلنا انّ الغناء غريزة في الانسان والغناء يحتاج الى بعض الوزن والايقاع قلبّاً اراد الناطقون بالعربيّة المحضة وهي عربيّتنا التي اخذت بالثبات في القرن الخامس للمسيح ابتدأوا بالتعبير عن عواطفهم واحساساتهم في الحبّ والتحسّس والغضب والوصف بما يقرب من الشعر الموزون اعني بالكلام المسجّع الذي روى منهُ الرواة الاقدمون بعض المقاطيع كان يرتجلها الكهّان والعرّافون وبعض القوّالين . فمن اقدم ما رووا من ذلك قول ظريفة الحير الكاهنة تنذر زوجها الملك عمرًا بسيل العرم

(المسعودي في مروج الذهب ٣ : ٣٧٩) :

« ما رأيتُ اليوم . قد ذهب عني النوم . رأيتُ غيماً أبرق . وارعد طويلاً ثم أصْعق . فما وقع على شيءٍ الا احترق . فما بعد هذا الا الغرق » . (وقالت ص ٣٨٢) : « هي داهيةٌ دَكيسة . ومصيبةٌ عظيمة . بامور جسيمة . . . انَّ لي فيها الويل . ممَّا يجيءُ به السَّيْل . . . خطبٌ جليل . وحزن طويل . وخلفٌ قليل . وعدٌ من الله تزلْ . وباطلٌ بطَلْ . ونكالٌ بنا نكلْ . فبيرك يا عمرو فليكن النَّكل »

فترى في هذه الاقوال اسجاعاً متتالية بينها شيءٌ من الموازنة فانتقلوا منها الى ابسط البحور وهو الرجز فلزموا التقفية كلزومهم الاسجاع في المنثور وراعَوْا فيه عدد الاجزاء والوزن مع جوازات كثيرة . وكانت ابياتهُ قليلة . قيل انَّ من اقدم ما ورد منهُ قول دُوَيد بن زيد بن نهد حين حضرهُ الموت :

اليوم يُبْنَى لدُوَيد بَيْتُهُ لو كان للدهر بلىً أبْلَيْتُهُ
او كان قِرْني واحداً كفَيْتُهُ يا ربَّ غَبٍّ صالحٍ حويتُهُ
ورُبَّ غيلٍ حسنٍ لويتُهُ

وقول امرئ القيس اذ بلغهُ خبر قتل ابيهِ بدُمُون في نواحي اليمن :

تطاولَ الليل علينا دمُونْ دمُونُ انَّا مشرٌ يَمانونْ
واتنا لقومنا محبُّونْ

ومثلهُ لكُلَيب اخي المهلهل وتروى لطرفة ارتجز بها اذ رأى قنابر تلتقط حبًّا يُنثر لها :

يا لكِ من قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري
قد رُفع الفخُّ فماذا تحذري ونقّري ما شئتِ ان تنقّري
قد ذهب الصيادُ عنك فابشري لا بُدَّ يوماً ان تُنادي فاصبري

فان كان السجع والرَّجز المذكوران هما كما يظهر اصل الشعر العربيّ ترتقي آثارهما الى اوائل القرن السادس او اواخر الخامس فيجب البحث عن أمة مجاورة للعرب امكنهم ان يتقلّدوها في سجعهم ورجزهم السابقين . واننا نرى ان تلك الأمة كانت الأمة الاراميَّة اي الكلدان والسريان الذين كانوا منذ اواسط القرن الرابع بعد تنصُّرهم زيَّنوا كلامهم المنثور بالسَّجع والفواصل ونظموا شعراً يقرب من اراجيز العرب . ولمَّا كان الاراميُّون يستوطنون حدود العرب وكثيراً ما امتزجوا بهم امتزاج

الماء بالراح وبنوا في جزيرتهم العدد العديد من الاديرة والمناسك حيث كان الرهبان يتفنّون بالتسابيح ويحيون لياليهم بالاناشيد الروحيّة فيسمعهم اهل البادية ويرددون نغماتهم فتبعثهم على الاقتداء بهم كما قطعوا بعد ذلك في تجويد القرآن على ما اثبتنا سابقاً فلا نشكّ ان العرب اخذوا ايضاً عن نصارى السريان والكلدان تسجيع الكلام وموازينهُ الشعريّة البسيطة كما ترى في الاراجيز العربيّة . ولعلّ القبائل القريبة من الروم وجدت ايضاً في تلحينهم وغنائهم وشعرهم ما دفعهم الى التشبُّه بهم في آدابهم

ويؤيّد قولنا هذا ان كثيراً من القبائل العربيّة المتنصّرة كانت تحضر ما يقيمهُ في وسطها من الرتب الدينيّة الاساقفة والكهنة خصوصاً في جهات الشمال والشمال الغربيّ حيث توفّرت الكنائس النصرانيّة الكلدانيّة والسريانيّة وفي جهات الشام شرقيّ دمشق وفي نواحي الاردن حيث انتشرت اليونانيّة وأُقيمت الطقوس الكنسيّة في تلك اللغة . اما القبائل المتنقّلة فكان يرافقها اساقفة او كهنة يُدعَون باساقفة المضارب كما شرحنا ذلك كلّهُ في القسم التاريخيّ . فلا غرو ان العرب الذين كانوا يعاينون تلك المحافل الدينيّة ويسمعون ألحانها تأثّروا منها فاستفزّتهم قريحتهم الى ان يجروا عليها نوعاً سواء كان في غنائهم او في شعرهم

ولنا في ما رويناهُ عن سوزومان المؤرخ شاهد آخر على رأينا اذ ينسب الى بني غسّان تلك الاغاني العربيّة التي كانوا ينشدونها بعد محاربتهم الرومان . وهو في الفصل عينه يذكر تنصّرهم وفي ذلك دليل على اصل كلامهم الموزون وعلاقتهِ مع دينهم النصرانيّ سواء كانت تلك الاغاني اسجاعاً مرصوفةً او اراجيز موزونة

٢ في نشأة الشعر العربي وتقصيد القصائد

كان بحر الرجز كأساس اوّل للشعر العربيّ . على انّ تفاعيلهُ بما فيها من الجوازات الشعريّة العديدة ما لبثت ان برزت على صور شتّى تفنّن بها الشعراء بتركيب الاسباب والاوتاد فاخرجوها على اوزان مختلفة جروا عليها بفطرتهم دون ان يدوّنوها بكتاب مكتوب فبقيت سماعيّةً تقليديّة الى ان قام الخليل في القرن الثاني للهجرة وامعن النظر في صورها واوزانها واستخرج اعاريضها واثبتها على قواعد صحيحة . والى ذلك اشار ابن الرشيق في العمدة (ص ٥) بقولهِ في اصل الشعر العربيّ : « كان الكلام

كلُّهُ منثورًا فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم اخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر أيامها الصالحة . واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسُتحانها الأجواد . لتهزّ نفوسها الى الكرم . وتدلّ ابناءها على حسن الشيم . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلمّا تمّ لهم وزنهُ سمّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا بهِ اي فطنوا لهُ »

وهنا لا نتردّد في القول بانّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الاوزان انّما كانوا من العرب المتنصّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيما المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس . نُخيل القرّاء لاثبات نصرانيّتهم الى قسمنا الاوّل في تاريخ النصرانيّة في عهد الجاهليّة

وعلى رأينا انّ شعراء الجاهليّة الاوّلين اذ اكتحلوا بنور النصرانيّة واحتكّوا باهلها من الامم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ماركها العرب الغسانية والمناذرة وبني الحارث وكان تمدّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدّبوا بآدابهم وجاروا اولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراء في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواء كانت تلك الحروب اهليّة بين القبائل كحرب البسوس او جرت لهم مع الاجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس . فانّ الشعراء وجدوا فيها ما استفزّ قريحتهم وهيّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظّ وفيّ كما سترى . (لهُ صلة)

الانتحار

بنسبة مقالة حديثة في فتى الارز

للاب لويس شيخو اليسوعي

الانتحار ! وما ادراك ما الانتحار ! خَطبٌ مُريع بل شرٌّ شنيع واثمٌ فظيع كاد

كلُّهُ منثورًا فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم اخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر أيامها الصالحة . واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسُتحانها الأجواد . لتهزّ نفوسها الى الكرم . وتدلّ ابناءها على حسن الشيم . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلمّا تمّ لهم وزنهُ سمّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا بهِ اي فطنوا لهُ »

وهنا لا نتردّد في القول بانّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الاوزان انّما كانوا من العرب المتنصّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيما المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس . نُخيل القرّاء لاثبات نصرانيّتهم الى قسمنا الاوّل في تاريخ النصرانيّة في عهد الجاهليّة

وعلى رأينا انّ شعراء الجاهليّة الاوّلين اذ اكتحلوا بنور النصرانيّة واحتكّوا باهلها من الامم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ماركها العرب الغسانية والمناذرة وبني الحارث وكان تمدّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدّبوا بآدابهم وجاروا اولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراء في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواء كانت تلك الحروب اهليّة بين القبائل كحرب البسوس او جرت لهم مع الاجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس . فانّ الشعراء وجدوا فيها ما استفزّ قريحتهم وهيّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظّ وفيّ كما سترى . (لهُ صلة)

الانتحار

بنسبة مقالة حديثة في فتى الارز

للاب لويس شيخو اليسوعي

الانتحار ! وما ادراك ما الانتحار ! خَطبٌ مُريع بل شرٌّ شنيع واثمٌ فظيع كاد

شرقنا العزيز يجهلهُ الى القرن السابق فسرى الينا بدخول التمدُّن العصري او قل بالاحرى بنشوّ المتجيَّة الحديثة . فكان لاوَّل ظهوره في اوطاننا صدى اشمئزاز وتأفُّف حسبناهُ الضربة القاضية عليه

ولكن لسوْ الحظ ما كان ذلك الشرّ الَّا لاطئاً كنار تحت الرماد والى الآن يذكر العموم بعض الحوادث المؤلمة وان قليلةً التي جرت في ظهرانينا

على انَّنا ما كنَّا لنسمع اذا بلغنا خبر بعض المنتحرين انَّ احد الكتبة يتجاسر ان يثني عليه لفعله هذا السيّئ ويصوّر الانتحار في جريدة عموميَّة كأثرة حميدة او كفعل شهامة . وها نحن الآن قد رأينا صحيفة أتت بمثل هذه القباحة

*

روت الجرائد انَّ الدكتور جان غرينبرغ الوسوي اصابتهُ رصاصة وهو يجرّب سلاحاً فجُرح جرحاً بليغاً ما لبث ان أودى بحياته بعد بضعة أيام . هذا ما شاع واثبتوهُ بكون الجريح استدعى جرَّاحاً شهيراً لمعالجته . على انَّ جريدة حديثة العهد تُدعى بفتى الارز خالفت تلك الاشاعة وادَّعت بان الدكتور انتحر وقتل نفسهُ عمداً

وما كنَّا لنتداخل في الامر لنفيه او لاثباته وكان الاحرى بجريدة فتى الارز ان تقتصر على الخبر كبقيَّة الجرائد ولكن لم تكتفِ بمخالفة الصحف الوطنيَّة ومدح القتيل حتَّى تعرَّضت لقضيَّةٍ تُعَدّ في عالم الدين والدنيا من اعظم القضايا شأناً . ففي صدر عددها السادس في ١٧ ايلول الاخير بعد روايتها الخبر اخذت تُطنب في فعل الانتحار الاثيم وتنعت المنتحر المزعوم «بالشهيد الحي بعواطفهِ العظيم باخلاصهِ الكبير بعملهِ الابيّ بنفسهِ» الى ان فاهت بهذا المبدأ القبيح : «كذب المتفلسفون بقولهم انَّ الانتحار جبن واثم وجناية على الهيئة الاجتماعيَّة »

فأخذنا الاندهاش لدى قراءة هذه الاحرف وحسبنا انَّنا خُدعنا ببصرنا وعدنا الى تلك الاسطر لنستثبت صحَّتها فاذا هي كما قرأناها بل اضاف اليها الكاتب ما يؤيّدها ويزيد في شناعتها وهو على ما يُقال فتى كاثوليكي مارونيّ !!

ومن ثمّ ينبغي علينا ذَوْدًا عن حياض الدين وصوناً لحرمة الآداب ان نفند هذا القول فلا يعود الى مثلهِ كاتب وطنيّ فنقول : ان الانتحار جناية كبيرة يتَّفق في تأثيمها معاً العقل والدين والهيئة الاجتماعيَّة وخير الانسان

ولا بُدَّ قبل اثباتنا لقضيتنا من تقديم بعض المقدمات ليتَّضح فكرنا للقرَّاء فنقول :

(اوَّلاً) نريد بالانتحار قَتْل الانسان نفسهُ عمدًا ليتجو بموته من مصيبةٍ لايحسن الصبر عليها . فبقولنا « عمدًا » نستثني المتحرين بباعث الجنون وشرود العقل

(ثانياً) لا يحلّ للانسان ان يأتي عملًا ينوي بهِ تلف حياتهِ ولو عَرَضاً

(ثالثاً) لا يدخل في باب الانتحار الإقدام على الموت اما لخير عمومي كما في الحرب واما لخدمة القريب كخدمة المطعونين واما تأييدًا الدين كوقوف الشهداء بازاء المضطهدين اثباتاً لايمانهم

١ الانتحار بازاء العقل

معلوم انَّ الله كتب في الانسان شريعةً ندعوها بالشريعة الطبيعيَّة يقف عليها العقل السليم لاوَّل وهلة . واوَّل ما يثبتهُ العقل الصائب انَّ الانسان مخلوق وانَّ لهُ سيِّدًا حياتُهُ في يدهِ فكما انهُ اعطاهُ الحياة كذلك لهُ الحكم فيها فيقصم حبلها اين ومتى وكيفما شاء . فاذا تطاول الانسان على نفسهِ بالانتحار استبدَّ بأمر نفسهِ وحرم الله بعض حقوقهِ المقدَّسة

وقد بيَّن تعالى حكمهُ على حياتنا بما طبعهُ في قلب الانسان من الكراهية من الموت فيفضِّل الحياة على كلّ الخيرات ويرى بقيَّة الشرور كالحبس المؤبَّد والاعمال الشاقَّة دون الموت شرًّا

ثمَّ انَّ العقل يرشد الانسان الى الدفاع عن نفسهِ بازاء ظالم يحاول اغتصابها فيجوز لك للمحاماة عن حياتك ان تصونها بالوسائط اللازمة حتَّى اذا اقتضى صونها قَتْلَ من يهجم عليك جورًا لا بأس من ذلك والشرائع البشريَّة نفسها تبيح لك بهِ . وما ذلك الَّا لأنَّ الناموس الطبيعيّ يبيح دفع القوَّة بالقوَّة ويثبت كون الحياة عطيَّة من الخالق الذي يأمر بحفظها فكم بالحري يحظر على الانسان ان يتلفها بيدهِ

٢ الانتحار بازاء الدين

انَّ الاديان على اختلاف نَزَعاتها تقضي على الانسان بصيانة حياتهِ وتؤثِّمهُ اذا

عمد الى تلفها . فهذه الشريعة الموسويّة المدوّنة في الاسفار المقدّسة تصرّح بذلك فانّ وصيّتهُ تعالى الخامسة « لا تقتل » تعمّ كلّ قتل يحاولهُ الانسان بسلطان نفسهِ سواء كان قتل ذاتهِ او قتل قريبهِ . وقد كان الله في سفر التكوين سبق وبيّن ذلك او لا بتقريعهِ لقاين بعد قتلهِ اخاهُ هابيل (تك ٤ : ١٠) ثمّ بتكرارهِ لنوح بعد الطوفان حيث قال (٩ : ٦٥) : « اي انسان قتل اخاهُ اطلبُ نفس الانسان . ان يك سافكُ دم الانسان الانسانَ فدمُهُ يُسفك لأنهُ بصورة الله صُنع الانسان » فمن هذا يستفاد انّ اثم سافك الدم هو واحد سواء سفك دم نفسهِ او دم قريبهِ لأنّ كليهما صُنع على صورة الله . وهو القائل عزّ وجلّ (تثنية ٣٢ : ٣٩) : « انا أُميت وانا احيي » . وقال ايضاً (حكمة ١٦ : ١٣) : « انّ لك سلطان الحياة والموت . . . أمّا الانسان فيقتل بخبثهِ لكنّهُ لا يعيد الروح الذي قد خرج ولا يسترجع النفس المقبوضة » فكلّ هذه الآيات الكريمة لا تدع ريباً في تحظيرهِ تعالى الانتحار على الانسان كقتلهِ لقريبهِ

وقد جرت الكنيسة على وجب هذه التعاليم فانّها بمجامعها ورسائل احبارها وكتابات علمائها لم تزل تستقبح الانتحار وتعدّهُ من اعظم الجنايات . وتحرم المنتحرين من الدفن الديني ولا تسمح بان يُقبَروا في ارض مقدّسة ما لم يعيشوا مدّةً بعد محاولتهم قتل نفسهم فيتوبوا او ثبت بعد الفحص ان نوعاً من الجنون شوّش عقلهم ففعلوا دون معرفة تامّة او ارادة ثابتة . أمّا اذا عاش طالبو الانتحار بعد سعيهم بهِ عمداً فان الكنيسة لا تسمح لهم بالانتظام في سلك الاكليروس

وليست النصرانيّة وحدها قد رذلت الانتحار بل غيرها من الاديان ايضاً كالاسلام واليهوديّة والاديان الوثنيّة نفسها . فأمّا الاسلام فانّ لصاحب شريعتهِ حديثاً رواهُ البخاري وغيرهُ من رواة الحديث وهو قولهُ : « كلّ من يقتل نفسهُ يعذّب في نار جهنّم » وقولهُ : « من يقتل نفسهُ يُنفَ من الجنّة الى الابد » وروى ابو داود انّ نبيّ الاسلام نهى عن دفن قاتل نفسهِ بالصلاة عليهِ (١ . أمّا اليهود فرأيتَ ما ترويهِ التوراة في اسفارها الالهيّة . كذلك الامم الوثنيّة كاليونان والرومان وبعض الشعوب البرابرة كانوا يستقبحون الانتحار يدلُّ على رأيهم كبار فلاسفتهم كفيثاغورس وسقراط وشيشرون فانّهم يعدّون الانتحار كجناية في حق عناية الآلهة ويحملون في الجحيم

(١ اطلب Hughes : Dictionary of Islam, *art.* Suicide

مكاناً خاصًّا للتنكيل بهم . أما الذين سمحوا بهِ منهم فكانوا من الملاحدة الذين ينكرون الخالق وعنايتهُ ويقولون بمذهب الماديين

٣ الانتحار بازاء الهيئة الاجتماعية

خُلق الانسان ليعيش مع بني جنسهِ في المجتمع البشريّ فهو عضوٌ من اعضاء ذلك الجسد الادبيّ المنتشر على وجه الارض وقد جعل الله لكل فردٍ من افراد هذا المجموع وظيفةً يقوم بها فيخدم ذاك المجموع كما هم يخدمونهُ . فاذا اخلَّ الفرد بوظيفتهِ من تلقاء نفسهِ اساء الى الجماعة اذ حرمها احد اعضائها العاملين لخيرها وكفر بجميلها بعد ما نالهُ من فضلها وهي قامت في خدمتهِ بالمربى والمعاش والسكن والدفاع عنهُ الخ

وقد جاء في سفر أيوب (٧ : ١) انَّ حياة الانسان جهاد على الارض وكلّ انسان احدُ المجاهدين في ساحتها فكما يُقضى على الفراريّ بالخيانة لوطنهِ كذلك المنتحر يخون المجتمع البشري بفرارهِ من ساحة الجهاد العامّ وتصرُّفهِ بنفسهِ دون رخصة مليكهِ الذي هو الله وقد ائتمنهُ على حياتهِ ليبذلها في منفعة العموم فاضاع الأمانة

ولا يقولنَّ احد انَّ رجلاً تعيساً بائساً هو عبءٌ ثقيل على الهيئة الاجتماعيَّة فموتهُ افضل من حياتهِ . نجيب على ذلك : كلَّا ليس البائسون والاشقياء وذوو العاهات في هذا العالم شرًّا للهيئة الاجتماعيَّة فانَّهم بصبرهم وبفضائلهم نعم القدوة للمجتمع البشري الذي يتمتع بالفضيلة والآداب الحسنة اكثر مما يتمتع بالصنائع كما انَّ الرهبانيَّات التي يقضي رجالها ونساؤها حياتهم في الصلاة والتقشُّفات يخدمون الجمعيَّة الانسانيَّة افضل الخدم ويشرِّفونها بترقيتها عن الميولات والامور الماديَّة الخسيسة وتوجيه نظرها الى العالم الادبي والروحي الذي يجب ان تسعى اليهِ الهيئة الاجتماعيَّة

ومما يدخل في هذا الباب ان للمنتحر غالباً اهلاً واقرباء كالدَّين واولاد وزوجة وغيرهم يكونون في حاجة الى خدمتهِ . افليس ظلماً فظيعاً ان يحرمهم عملهُ ويعرِّض بهم الى الفاقة والبؤس ان لم نقل الى اليأس والقنوط فضلاً عمَّا يلزمهم من العار والخجل لموت احد اقربائهم الادنين موتاً شنيعاً كهذا

٤ الانتحار بازاء نص المنتحر

ان كان العقل والدين والهيئة الاجتماعيَّة تتفق على تقبيح الانتحار فليس صالح المنتحر باقلّ منافاةً لهذه الجناية وذلك لأنَّ بين المبادئ الفلسفيَّة الراهنة التي تُعَدُّ من الاوَّليات في تآليف الفلاسفة كارسطاطاليس وغيره «انَّ اوَّل محبَّة الانسان هي لنفسه» ليصونها ويرعاها ويطلب لها كلَّ خير ينطبق مع صلاحها. وكلّ يرى انَّ الانتحار على طرف نقيض من هذا المبدأ المقبول. فايُّ شرّ يا ترى اعظم من ان يتلف الانسان نفسهُ ويفقدها الحياة اكبر خيراتها. وهذا يُفحم ذات الذين ينكرون وجود الله وخلود النفس

وفي المبدأ الانجيلي «أحبب قريبك كنفسك» اثباتٌ لهذا المبدأ الفلسفيّ. كأنَّ الرب يقول: كما انَّ الانسان يريد بالطبع الخير لنفسه ولا يتلفها ولا يضرُّها كذلك يجب ان يعامل قريبهُ بموجب هذا الناموس

وللانسان المؤمن بوجود الله وخلود النفس برهان آخر يصدُّهُ عن الانتحار. انَّ الله خلق الانسان لمجده بان يسبّحهُ تعالى ويمجّدهُ ويخدمهُ فينال بعبادته هذه وخلوص خدمته السعادة الابديَّة. فكيف يا ترى يقوم المنتحر بهذه الخدمة افليس هو بالحري كالعبد الشرّير الذي لا يرضى باتمام اوامر سيّده فيقضي عليه سيّدهُ بما استحقَّهُ من العقاب؟

وبهذا يسقط ايضاً مدَّعى المدافعين عن الانتحار بانَّ بعض شرور هذا العالم لا تُطاق فيستخفُّ الانسان الموت على احتمالها. وهو قول يفوه به الجهَّال لا العقلاء. فما هي يا تُرى شرور الدنيا وبلاياها كلها مهما كانت فظيعةً بالنسبة الى سقوط النفس بين يدي الاله الحيّ والديَّان العادل الذي يعاقب بعذابات ابديَّة يفوق اخفُّها على كل ما يُعرَف في عالمنا من الاوجاع والآلام ولاسيما اذ لا يبقى للمنتحر وقت للتوبة. أفلا يصحُّ في هؤلاء العميان قول العامَّة: «هرب من الدلفة ووقع تحت الميزاب»

أما قول بعض المتفلسفين والكتبة المحدثين الذين جعلوا الانتحار في بعض الظروف شهامةً وفعلاً محموداً كما فعل فتى الارز فليس هو سوى لغط وشقشقة لسان بلا معنى او بالحري هو كلام فاقدي الشعور أُتخمِوا يزوّرون الحقيقة على البسطاء ويصبحون في طريقهم حجر عثرة فيشككونهم والويل لمن تأتي على يده الشكوك

مطبوعات شرقيّة جديدة

La Syrie : Précis historique par le P. H.Lammens. 1er *vol., Beyrouth. Impr. Catholique, in-12, pp. IX-279. 1921. Prix relié 7 fr.*

سوريّة : خلاصة تاريخيّة

كانت مدارسنا منذ امد مديد في حاجة ماسّة الى تاريخ مدرسيّ لسوريّة. لأن كلّ ما ظهر من ذلك سابقاً لا يفي بالغاية المطلوبة سواء كان بالعربيّة او باللغات الاجنبيّة. وها قد سدّ حضرة الاب هـ. لامنس تلك الثلمة بوضعه هذا الكتاب النفيس الذي يستحقّ وحدهُ ان يُجعل في ايدي الدارسين لاشتماله على كلّ الصفات التي يستحبّها طلبة المدارس من وفرة المواد وبلاغة الانشاء وحسن التنسيق والتدقيق في الروايات. وهذا الجزء الاوّل يتناول تاريخ سوريّة منذ الفتح العربيّ الى آخر تاريخ الصليبيين. وقد قدّم عليهِ المؤلف نظراً عموميّاً في تاريخ سوريّة القديم وتعريف حدودها وميزاتها وعناصرها المختلفة وألحقهُ بفصل خاصّ بجزيرة العرب واحوالها وظهور صاحب الدعوة الاسلاميّة فيها قبل فتح الشام وملك بني امية. وفي الكتاب ما عدا التاريخ الاسلاميّ والصليبيّ عدّة ابواب في تعريف احوال سوريّة الدينيّة والادبية والفنيّة والاقتصاديّة كما يشتهيها القرّاء. وقلّما يجدها الطالب في الكتب المنشورة سابقاً. فنثني على همّة حضرة الاب لامنس ونشكرهُ على هذه الخدمة الجديدة التي ادّاها للوطن وننتظر بفروغ الصبر الجزء الثاني من هذا الاثر الفريد متمنّين بان يُنقل الكتاب قريباً الى العربيّة

ل. ش

Le Coton en Syrie et en Cilicie. par Ed. L. Achard, Beyrouth, Impr. du Haut Commissariat, in-4, pp. 128

القطن في سوريّة وقيليقية

هذا درس مستوفى في احوال القطن وزراعته ومحصولاته في جهات سوريّة وانحاء قيليقية كتبهُ احد الاختصاصيين المسيو ادوار أشار وقدّمهُ لغرفة التجارة في مرسيلية. ضمّنهُ المؤلف كلّ المعلومات التي استفادها في بعثته الاخيرة الى هذه البلاد بمراقبته الخاصّة ومفاوضاته لارباب الزراعة. فجاء كتابهُ جامعاً مانعاً لا يطلب فيهِ القارئ

مبحثاً الّا وجده بخصوص سائر الافادات المتولدة بالقطن كتربته وانواعه وتنميته وكنياته ولوازمه . واستطرد المؤلف هناك الى مزروعات أخر كثيرة يستطيع الوطنيون ان يُقبلوا بها ويحتنوها فيوفروا غلّاتها . فنحث كلّ الملّاكين ان يمعنوا النظر في هذا التأليف البديع فيفتح لهم ابواباً جديدة للثروة ل . ش

A. F. Breedenbeek: Die Betriebsfreiheit im Versicherungswesen, im Handel, Schiffahrt und Industrie. *in*-8vo, *pp.* 191; *Amsterdam, Librairie Internationale « Messis »*

حرّية التجارة في مشاريع التأمين والمبايعات والتجارة البحريّة والصناعة

قد ظهر في هذه السنين الاخيرة بطلان مبادئ حزب الاشتراكيين الذين يسعون في جمع الاملاك والثروة العموميّة ليقسموها بين الناس . بيد انّ اراءهم هذه لا تزال معشّشة في رؤوس كثيرين من العموم . وليس اقلّ خطراً منها الاشتراكيّة الدولّية التي تدفع الحكومات الى احتكار الاعمال والمشاريع والصنائع لتصبح في ايديها كوسيلة لتأييد سيطرتها على الشعب . وهذا ما يثبتهُ بريد نبك مؤلف الكتاب المدون آنفاً فيثبت ان هذا الاحتكار سيئ العقبى كثير الاخطار على الدولة . وقد استطرد المؤلف ليبدي رأيهُ في جمعيّة الامم التي تشكّلت بعد الحرب وما كان يُنتظَر منها لخير الدول وكيف تقلّبت حتّى اصبحت كريشة يتلاعب بها الهواء ما لم ترجع الى المبادئ الاصليّة المؤسسة على قواعد الآداب الثابتة اعني قواعد الديانة النصرانيّة الالهيّة ولذلك يأسف على عدم انتداب الحبر الاعظم اليها ليرسل من يمثّلهُ فيها اذ ليس اجدرَ من الحبر الروماني لتأليف القلوب وفكّ المشاكل الدولّية الاب ي . ديلنسيغر

Une mission d'études sur la Lavande et son industrie dans le Sud-Est de la France, *in*-8e, *Vigot Frères, Paris, Prix*, 8fr, 1921 = Les Simples et leur Cueillette dans la région de Tarare, *Brochure, in*-8, *L. Declume, Lons-le-Saunier*, 1920

الخزامى (اللوندا) وصناعتها في جنوبي شرقي فرنسة – اجتناء الفروعات الطبيّة في منطقة ترار

قد انهضت الحرب الاخيرة همم الناس لفتح طرق جديدة للارتزاق لاسيما باجتناء محصولات الوطن والاستفادة من تربته . وكان الفرنسويون قبلها يبتاعون بملايين من الفرنكات عدّة نباتات لصناعتهم من النسجة والمانية فوجدوا انهم يمكنهم الاستغناء

عنها باستثمارها في بلادهم . والكتابان السابق ذكرهما في اعلاهُ يصفان ما تألّف من الشركات في فرنسة حديثاً لاستنبات كثير من النباتات الصناعيّة كالخزامى (اللوندا) ذات المنافع العديدة في العطريّات والاستقطار والاجزخانيّات ثم النباتات الطبيّة المعروفة عند العرب بالمفردات . ولو شاء المواطنون لامكنهم ان يحذوا حذوهم فانّ ارض لبنان والسواحل غاية في الاهليّة لهذه النباتات فاذا زرعوها وجنوا ثمارها يستفيدون منها كثيرًا او يرسلونها الى فرنسة الى المكتب الدولي فيبتاعها وهذا عنوانهُ :

Paris, VII. rue de Bellechasse, 44

Paul Vivier : Téléoptique des orages et des tremblements de terre. 1 *brochure, in-8; 88 pp., Paris, Mendel*

رصد الانواء والزلازل قبل حدوثها

يدّعي صاحب هذه الكرّاسة ان رصد الغيوم يؤدي براقبيها الى الاطلاع على حوادث سابقة كالانواء والزلازل . فيقول مثلًا انّ راصد الغيوم في باريس اذا قابلها بمثلها في اميركة يستدلُّ على وقوع كارثةٍ في بلاد ما . وبياناً لذلك قد جمع المؤلف عدّة ملحوظات مختلفة المصادر يستند اليها لاثبات زعمهِ . على انّنا لم نجد فيها ما يكفي للاقناع مع ما اودع في كتابهِ من الادلّة على سعة معارفهِ . وعلى كلّ حال ننتظر حكم العلماء الموثوق بهم لتأييد رأيهِ او لنبذهِ

الاب ب . برلوتي

Général Sarrail : Mon Commandement en Orient (1916-1918). *Paris, E. Flammarion, rue Racine. 26, Prix. 7f, 75, 1920*

الجنرال سرّاي : قيادتي في الشرق من ١٩١٦ الى ١٩١٨

كلّ يعرف ما تراكم من الشكايات في حقّ الجنرال سرّاي وتصرّفهِ في السنتين اللتين قضاهما كقائد الجيش الفرنساوي في حملتهِ على الشرق . فحاول الدفاع عن نفسهِ في هذا الكتاب ليبيّن ما لقيهُ في طريقهِ من العوائق التي غلّلت يديهِ وحالت دونهُ ودون الفوز المأمول من جيشهِ في مقدونية . فتراهُ يتشكّى ويتجنّى من معظم رؤسائهِ الذين على زعمهِ كانوا يعاكسونهُ ويسيئون فيهِ الظنّ . واغرب من ذلك انّهُ يرمي بسهام الملامة وجالًا اجمع الرأي العام على إطراء سموّ عقلهم وحسن سياستهم وشهامة اخلاقهم . وخلاصة القول لا نظنّ انّ هذا الكتاب يزكّي صاحبهُ ويبخس حقّ الذين حاول انتقادهم

الاب ب . كستاكيس

Dr. René Aragon : Mon Voyage au Bostland , *in*-12 , *pp*. 155 *Paris, Jouve,* 1920

سفري الى بِسْتَلَنْد

بِسْتَلند بلادٌ وهميّة معناها بالانكليزيّة «افضل البلاد» . فانّ الكاتب ابتكر طريقةً شائقة ليتنقد الامور الاهليّة والاقتصاديّة والسياسيّة الجارية في البلاد الاوربيّة حاضراً . فانّهُ تخيّل دولةً جامعة فيها كلّ كمالات الحضارة العصريّة دون شيءٍ من نقائصها جعلها في بعض اطراف الارض المجهولة فيرحل اليها ويتجوّل في كلّ انحائها ويصف خواصّها ويقابل مزاياها الطيبة واسباب رقيّها الكامل بما يعهدهُ من الخلل في الحواضر الاوربيّة . وكذلك يفاوض اهل تلك البلاد ويدرس طباعهم وعاداتهم فيجد فيهم من المحاسن والمدارك السامية ما يكاد يبغّض اليهِ تمدُّن بلادهِ الموهوم . وعلى هذا المنوال يستلفت نظر ارباب الامر الى اصلاح كثير من الاحوال المخلّة الشائعة في بلادهم والى تحويرعدّة شرائع ضررُها اعظم من منفعتها . فتحرّض القرّاء على مطالعة هذا الكتاب الظريف ليقفوا بهِ على ما يحتاج اليهِ التمدُّن العصري ليبلغ كمالهُ

ل . ش .

Bertrand Russell: La pratique et la théorie du Bolchévisme, *traduit par* André Pierre, *in*-16. 1921, *pp*. 217, *éditions de la Sirène*7

Etienne Antonelli: La Russie Bolcheviste, Paris, B. Grasset, in-12, pp. 278, 1919, Prix Sfr, 50

البلشفيّة العمليّة النظريّة – روسيّة البولشفيّة

قد مرَّ لنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٤٧) فصلٌ مطوّل في تعريف البلشفيّة واصلها ومبادئها الوخيمة واعمالها المستهجنة . وكلُّ ما بلغنا عنها منذ ذاك الحين عن المصادر الثقة زادنا كراهيةً لها وانفةً من مآثمها . وها قد اتانا في تلك النحلة كتابان مختلفان : احدهما للانكليزي برتران رسّل الاشتراكي الذي يسعى في الدفاع عن البلشفيّة وتعليلها وان اقرَّ بسوء تدبيرها ومظالمها وكفى باقرارهِ دليلًا على خبث الشجرة التي تُعرَف من ثمارها . اما الكتاب الآخر فهو لرجلٍ خالٍ من كلّ غرض صائب الفكر عالم بدقائق الامور واسبابها وعواقبها اسمهُ اتيان انطونلي ألّف كتابهُ سنة ١٩١٩ ووصف البلشفيّة احسن وصف وتتبّع تعاليمها واعمالها في كلّ دوائرها

السياسيَّة الداخليَّة والخارجيَّة واثبت اقوالهُ بقرارات رسميَّة لا يُرتاب في صحَّتها فراج الكتاب وطُبع وبلغ في سنة ظهورهِ سبع طبعات فنوصي بهِ من يريد الوقوف على حقيقة الامور التي قلبت روسيَّة ظهرًا لبطن وجعلتها طعمةً للفوضى ل. ش

PROTOCOLS DES SAGES DE SION traduits du Russe et précédés d'une Introduction par Roger Lambelin, *Paris, B. Grasset, in*-12, 1921, *pp. LXXV*-153

قرارات حكماء صهيون

هذا كتاب نشرهُ اليهود سرًّا باللغة الروسيَّة سنة ١٩١٢ فوقف عليهِ احد الادباء المسيو روجه لمبلان فنقلهُ الى الافرنسيَّة وقدَّم عليهِ مقدِّمةً مطوَّلة ليبيِّن صحَّتهُ فيثبتها بوصف طبعتهِ الاصليَّة ورَسْم تصاوير غلافهِ الغريبة. امَّا محتواهُ فقرارات دوَّنها «حكماء صهيون» اي ارباب اليهود وزعمائهم في ٢٤ فصلًا اودعوها طرائقهم الجهنَّميَّة ليبلغوا الى السيطرة على العالم باسرهِ بكل وسائل الخداع والمكر واحتكار ماليَّة الدول وإثارة المشاغب والفتن الى ان يُصبح اسرائيل سيِّد العالم. وقد تمَّ لهم قسمٌ كبير من افكارهم القبيحة بمناصرة البلشفيَّة التي في ايدي اليهود لحتفها وسداها. فمن لهُ اذنان سامعتان فليسمع او يتأمَّل مضامين هذا الكتاب ل. ش

كتاب الحساب بقلم ابرهيم صادر

الكتاب الاوَّل. طُبع في بيروت في المطبعة العلميَّة سنة ١٩٢١ (ص ٧٢)

نشر مؤلف هذا الكتاب سابقًا ثلثة كتب في مبادئ الحساب: ترويض الالباب في علم الحساب وهديَّة الاحباب وزبدة الفوائد في الاربع قواعد وهذا كتاب رابع اتمَّهُ آخرًا لطلبة المدارس وقد اهتمَّ فيهِ غاية جهدهِ ليخرجهُ على طريقة عمليَّة سهلة المنال تقرِّب فوائدهُ من احدثهم سنًّا واقلَّهم ادراكًا. وزاد ذلك بما اودعهُ فيهِ من الاعمال الحسابيَّة والتمارين المتعدِّدة ل. ش

الموجز المغيث في علم المواريث

بقلم فيليب عزيز المحامي لدى المحاكم الاهليَّة والمختلطة

طبع في مصر في المطبعة اليوسفيَّة سنة ١٩٢١ (ص ٧٦)

يعلم دارسو الفقه الاسلامي كم يحتوي علم المواريث من المشاكل التي يستعصي

حلُّها على نفس المتضلّعين بهذا الفنّ فهذا الموجز بوضوح عبارته وحسن تقسيمه وشموله لاصول المذهب الحنفي مع ذكر اوجه الخلاف مابينهُ وبين المذاهب الاسلاميّة الاخرى المالكي والشافعي والحنبلي يوفّر على دارسيه وقتاً طويلاً وانجاناً مملّة لاسيما انه متقن الطبع على ورق صفيق

التربية في العائلة · زلّات الوالدين

للسيوفيلكس توما عرّبهُ وديع افندي رشيد شهاب

طُبع في بيروت في مطبعة طبّارة سنة ١٩٢١ صفحاتهُ د + ٢١٩

قال احد كبار الرجال « انَّ فنّ الفنون سياسة النفوس » وهو قول يصحُّ قبل كلّ في تربية الاحداث رجال الغد. ومن ثمَّ نشكر معرّب هذا الكتاب البديع في التربية العائليّة وكشف زلّات الوالدين في هذا الفنّ الجليل. والحقّ يقال ان صاحب هذا التأليف قد أعرب عن نظر دقيق ودرس عميق لهذا المطلب المهمّ فهو يستقري كلّ اطوار حياة الولد ويميط الستار عن زلّات الوالدين في تلك الاطوار ويرشدهما الى الصواب ليقوما باقدس واجباتهما نحو فلذة اكبادهما سواء كان في زمن وجود الولد في البيت او في المدرسة لتربيته البدنيّة وتهذيب اخلاقه وعقله وصيانته من كل اسباب الرذيلة مع الاعتناء في ارشاده للحياة الاجتماعيّة. على اننا مع استحساننا للكتاب اجمالاً لا نشير على الجميع بمطالعته لما فيه من وصف امور يصدق وقوعها في اوربّة ولا توافق احوال بلادنا او تُصحح حجر عثرة لمن يُسيء فهمها لاسيّما بعض اقواله في الاديان التي يعتبرها كلها متساوية في صحّتها وضلالها ل. ش

﴿ هدايا ارسلت الى المجلة ﴾

١ رسالة للقديس يوحنّا فم الذهب وجّهها الى ثاودورس ليردّهُ الى دعوته بعد جحوده الرهبانيّة وهي التي نشرها سابقاً في المشرق حضرة الخوري لاونديوس كلزي (ص ٩٤٠).

٢ حفلة تكريم ميرزا بك بمناسبة تعيينه مديراً ماليّة لبنان الكبير سنة ١٩٢١. طُبع في مطبعة المعارف (ص ٢٩)

٣ كتاب الحميريين. اثر قديم في رواية شهداء نجران بالسريانيّة

Axel Maberg: The Book of the Himyarites. A hitherto unknown Syriak Work on the Himyaritic Martyrs. *pp.* 10, *Extrait dn Bulletin de la Société des Lettres de Lund* 1920–1921

شذرات

القلب الجريح فوق الضريح — كان لوفاة الاب بطرس فضّول المرسل اللبناني المتوفّى في اميركة رنّة حزن في قلوب كلّ معارفهِ لما شاع من فضلهِ وتُقاهُ فرثاهُ كثيرون منهم حبيب افندي عوّاد خرّيج المدرسة المارونيّة في رومية وتلميذ الاب المرحوم فقال من قصيدة بالعنوان السابق:

تقيٌّ رشفنا من معين انتضاعهِ ... ويا حبّذا رشفاً يُزيل أُسانا
سقانا التُّقى والفضل من مزن طهرهِ ... ومن شرّ ابليسَ الرجيم وقانا
حدانا اليهِ اللهُ يوماً وقلبنا ... ذليلٌ فاسى في المصاب عزانا
وكان كأمٍّ في محبة طفلها ... وكان ابأً يحنو علينا حنانا
ففي كلّ قلبٍ قد بنى صرحَ حبّهِ ... فعاد له قلب الجميع مكانا
ربينا وعشنا في رضاهُ ورشدهِ ... وكلٌّ غدا في حبّهِ يتفانى.

الى ان قال خاتمًا ومؤرخًا سنة وفاتهِ ١٩٢٠:

فطوباك يا من في النعيم مقامهُ ... وفي حضن ابراهيم حزتَ امانا
ألا فاشفعنْ فينا ورقَّ لحالنا ... وكن يا أَبانا في الكروب مُنانا
يحنُّ فؤادي آرخاً نشر مدحهِ ... الى دار خلدٍ كي نراك عيانا

التصوير في الاسلام — مما يُثبت انَّ الاسلام لم يأنف من تصوير الصور المجسّمة من حيوان وبشر ما رواهُ المقريزي في كتاب الخطط (٢ : ٣١٨ والطبعة الجديدة ٤ : ١٢٠) عن جامع القرافة في مصر حيث قال «انهُ كان فيهِ من القناطر والعقود والخلايا المزوّقة بانواع الاصباغ من صنعة البصريين وبني المعلّم المزوّقين شيوخ الكتامي والنازوك» ثم وصف شاذروانًا يُرى على هيئات مختلفة على حسب وقوف الناظر تارةً او لا تتزّ فيهِ «من افخر الصنائع عند المزوّقين وكانت هذه القنطرة من صناعة بني المعلّم وكان الصنّاع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن غزيز في أيام البازوري سيّد الوزراء الحسن بن عليّ بن عبد الرحمان وكان كثيرًا ما يحرّض بينهما ويُغري بعضهما ببعض لانهُ كان احبّ ما يُهدى اليهِ كتابٌ مصوّر او النظر الى صورة او تزويق وكان يشتطّ في أجرتهِ ويلحقهُ عجب في

صنعته وهو حقيق في ذلك لانهُ في عمل الصورة كابن المُقلة في الخطّ وابنُ العزيز كابن البوّاب وقد أمعن شرح ذلك في الكتاب المؤلف فيهِ وهو طبقات المصوّرين المنعوت «بضوء النبراس وأنس الجلّاس في اخبار المزوّقين من الناس» . وكان البازوري قد احضر بمجلسهِ القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز: انا اصوّر صورةً اذا رآها الناظر ظنّ انها خارجة من الحائط . فقال القصير: لكن انا اصوّرها فاذا نظرها الناظر ظنّ انها داخلة في الحائط . فقال: هذا أعجب . فامرهما ان يصنعا ما وعدا بهِ فصوّرا صورة راقصتين في صورة حنيّتين مدهونتين متقابلتين هذه تُرى كأنها داخلة في الحائط وتلك تُرى كانها خارجة منهُ . فصوّر القصير راقصةً بثياب بيض في صورة حنيّةٍ دهنها اسود كأنها داخلة في صورة الحنيّة وصوّر ابن عزيز راقصة بثياب حُمر في صورة حنيّة صفراء كأنها بارزة من الحنيّة . فاستحسن البازوري ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب . وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامي صورة يوسف عم في الجبّ وهو عريان والجبُّ كلهُ اسود اذا نظرهُ انسان ظنّ انّ جسمهُ باب من دهن لون الجبّ

﴿اصل لعب الشطرنج﴾ الشائع بين العرب انّ واضع لعب الشطرنج هو حكيم احد حكماء الهند الذي عاش على قول المسعودي في اواخر القرن الثالث قبل المسيح في عهد الملك بلهيت خان دبشليم معاصر اسكندر ذي القرنين . وقد قرأنا مؤخراً في احد اعداد المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة التي ظهرت هذه السنة (عدد نيسان — حزيران ص ٢٧٠) ان ملك الصين المدعو «مو» كان يتلهّى في القرن العاشر قبل المسيح بلعب الشطرنج كما ورد في تاريخ اسفارهِ الذي كتبهُ احد معاصريهِ (راجع مقالة العلّامة ليوبلد دي سوسور المنشور هناك) (J.AS., Avril-Mai, 217-280)

﴿الهند الانكليزيّة في الحرب الكونيّة﴾ أدّى الهنود للانكليز في الحرب الكونيّة خدماً عظيمة كما يتّضح من القائمة الرسميّة الآتية . تجنّد من الهنود ١٤١٦ ، ٦٧٩ ، ١ نفراً قُتل منهم في ساحة الحرب ٦١،٣٩٨ وجرح ٧٠،٨٥٩ وأسر ١١،٠٧٠ . وقد كلّفت الهند نفقات الحرب قريباً من ٤٠٠،٠٠٠،٠٠٠ جنيه تكرّم الاهالون بتقدمة ثلثها بصفة تبرّعات وهدايا اختياريّة

﴿الرصد الناتيكاني﴾ قد رويتا سابقاً ان علماء الفلك اتّفقوا على انشاء خارطة عظيمة للسماء وافلاكهِ ونجومهِ . وهو من ابدع المشروعات التي نرى بوضحها علماء

العصر وقد قسموا هذا العمل بين ثمانية عشر مرصداً فلكياً في العالم . ومن جملتها المرصد الفاتيكاني في رومية الذي يتولّى تدبيرهُ الابوان يوسف لانس الاوراتوري وجان هاغن اليسوعيّ . وها هما قد اتمّا المجلّد الخامس من العمل الخاصّ بهما وهو اذا نجز سيبلغ عشرة مجلّدات و ٢٨٠٠ صورة شمسيّة

﴿ مزاعم غريبة لمجلّة المقتطف ﴾ افتتح المقتطف عددهُ الاخير الصادر في سبتمبر بمقالة عنوانها «حركات الجماد» روى فيها بعض الاعمال الكيموية حيث تتجاذب بحركات طبيعيّة العناصرُ المختلفة لما بينها من الائتلاف فزعم الكاتب ان تلك الحركات تشبه حركات النبات وحركات الحيوان . ثمّ تطرّف الى ان قال (ص ٢١٠)

« كلّما دقّقنا البحث وجدنا انّ بعض افعال الجماد والنبات والحيوان متشابهة في النوع ولو اختلفت اختلافاً كبيراً جدّاً في الدرجة »

ثمّ قال : « ان المخلوقات الحيّة وغير الحيّة متّصل بعضها ببعض ويظهر فيها الارتقاء من البسيط الى المركّب . فان كانت نواميس الطبيعة قد كفت لتوليد انواعها بعضها من بعض في مدّة ملايين السنين التي مرّت على الارض فذلك ادلّ على قدرة واضع هذه النواميس مما لو خلق كلّ نوع على حدة ولاسيما اننا نرى التنوّع او ما يشبههُ يجري الآن امام عيوننا بالوسائل الطبيعيّة »

فهذا هو المبدأ الدروينيّ بعينهِ بل يُربي على مزاعم دروين الذي لم يجعل «الجماد والنبات والحيوان نوعاً واحداً تختلف بالدرجة فقط» فهو الى قول هكل والماديين اقرب منهُ الى المذهب الدروينيّ . فنحيل القرّاء لتفنيده الى المقالات الشائقة التي يدوّنها حاضراً في المشرق حضرة الاب اسكندر طوران

ويعود الى هذه المزاعم الباطلة قولُ المقتطف في مكان آخر من هذا العدد (ص ٣٠٥) عن الوراثة الدروينيّة الموهومة قال :

« كلّ الاعمال التي يتعاطاها الانسان مدّة قرون كثيرة ترسخ فيهِ بالوراثة فيرضع الطفل من غير ان يلمسهُ احد الرضاعة ويبكي ويضحك ويكذب ويخدع (كذا!) ولكنهُ لا يتكلّم ولا يكتب لأن الكلام والكتابة حديثان جدّاً في تاريخ الانسان »

بُشرى لكنّ ايتها الأمهات سيأتي يوم لم تَعُدْنَ تحتجنَ الى تلقين اطفالكنّ الكلام بل تسمعن الصغار يحادثونكنّ في المهد كما روى القرآن عن السيّد المسيح . ولن تحتجن الى اساتذة والى المدارس لأنّ الوراثة تطبع فيهم منذ ولادتهم صناعة الكتابة والقراءة فطوبى لمن يعيش في تلك الأيام ليرى كلّ هذه العجائب التي يتنبأ عنها المقتطف . ونبشّر الحملان والعجول وصغار البهائم التي ترضع اليوم بالوراثة أنها

ستترقّى يوماً فتبكي وتضحك وتكذب (كذا !) بالوراثة الى ان تتكلم وتكتب بالوراثة . هذه فلسفة اصحاب المقتطف بل بعض تُرّهات ارباب التحوُّل والترقي !!!

ومثل هذا غرابةً نبذة في العدد عينهِ من المقتطف (ص ٢٩٦) على اطلال المذهب المادّي حيث يستغرب «تصدّي مئات من حَمَلة الاقلام يكفّرون طائفةً قليلة جدًّا من العلماء تقول بالمادّية ورجالها من افضل الناس سيرةً (كذا) » بينما يتغاضون عن الف كبيرة وكبيرة يأتيها غيرهم . فكأن المقتطف يجعل جحود الخالق من الصغائر وهي كما لا يُخفى اكبر الكبائر وباب كل الشرور . امّا « انّ رجالها القليلين من افضل الناس سيرةً » فلم يقل بهِ غير المقتطف ولو اردنا تفنيدهُ لجمعنا التآليف الضخمة وللمقتطف ايضاً هناك (ص ٢٨٨) كلام في ازياء النساء سنعود اليهِ ان شاء الله .

هذا مع شكرنا لهُ عن ثنائه على طبعتنا لكتاب الكتّاب لابن درستويه (ص٢٩٦)

﴿ عماد العذراء مريم ﴾ معلوم انّ العذراء مريم كانت بريئة من الخطيئة الاصليّة وسرّ العماد وضعهُ السيّد المسيح لإزالة تلك الخطيئة الجدّيّة . فما كانت إذن محتاجة الى سرّ العماد . فاذا ثبت عمادها فذلك تشبُّهاً بمعموديّة ابنها ولزيادة نعمتها فقط . ومَن قالوا بعمادها القديس افرام وهاك تعريب ما ورد في صلاة السريان الكاثوليك الطقسيّة في الاحد السابق عيد الميلاد كما افادنا حضرة القس يوحنّا عزّو السرياني . والكلام عن لسان البتول تخاطب ابنها الالهي الذي وُلد منها بالجسد وأولدها بالروح بالمعموديّة :

« اني اختٌ من آل داؤد لأنهُ ابٌ لكلَيْنا . ثمّ اني والدتكَ لاني حبلتُ بك . وخطيتك بسبب رجائك . اني والدتكَ وصرتُ ابنتكَ من بطن الماء » (اعني ماء المعموديّة)

وقد وجد حضرتهُ هذا الكلام في تآليف الملفان المذكور في الطبعة الرومانيّة (ج ٢ ص ٤٢٩) بما هو اجلى واوضح واوسع وهذا تعريبهُ :

« اني اختٌ من آل داؤد لانهُ ابٌ لكلَيْنا . ثمّ اني والدةٌ لابني حبلتُ بك وخطيبةٌ من اجل قُدسك (اي نعمتك) . وانا أَمَةٌ وابنةٌ من الدم الذي ابتَعْتَني بهِ والماء الذي عمّدتني بهِ (هي وهذا معها وإحده ٥/معطيا)

« كيف ادعوك يا من كان غريباً عنّا وصار منّا هل ادعوك يا تُرى ابناً أم ادعوك اخاً ؟ هل ادعوك خطيباً ام ادعوك سيّداً ؟ . يا والداً لامهِ ميلاداً آخر من بطن الماء (معجز للامه مجدا اسفارا مع حمصا)

يا ابن العلي الذي اتى وحلّ بي فصرتُ امّهُ . ومثلما ولدتهُ ولدني ميلاداً آخر لأنهُ (بالمعموديّة) يولي ميلاداً ثانياً . يا وشاح امهِ الذي لبس هو جسدها فليست هي بجدهِ

أسئلة وأجوبة

– س سأل من برمانا يوسف افندي صيقلي ماذا نعرف عن قطعة من الصليب المقدّس الاصلي – ورد في كتاب انكليزي لفرنسيس ماك كولك في سقوط عبد الحميد انّ هذا السلطان اهداها الى قيصر روسيّة بمناسبة حفلة تتويجه ويقال هناك انّها أكبر القطع الموجودة ولعلها أكبر من المحفوظة في رومية العظمى

قطعة الصليب المقدّس الاصلي المهداة لقيصر روسيّة

ج لدينا كتاب واسع في « آلات الآلام » لكاتب شهير «روهودي فاوري » Rohault de Fleury : *Instruments de la Passion* ذكر فيه كلّ القطع المعروفة من الصليب المقدّس في الشرق والغرب وهو لم يذكر القطعة المذكورة في كتاب ماك كولك . ولعلّها كانت مصونة في خزائن السلاطين وجدوها في خزانة ملوك الروم بعد فتح القسطنطينيّة سنة ١٤٥٣ . وان بلغنا شيء من امرها عدنا الى ذكرها

س وسأل احد كهنة حلب الافاضل : ١ً لاي سبب تحظر الكنيسة من قراءة الانجيل المطبوع عند البروتستانت ولا فرق بينهُ وبين الطبعة الكاثوليكيّة . ٢ً هل الغفرانات المعلّقة من الكنيسة على الثوب الازرق والصلوات المفروضة لذلك يمكن ربحها مراراً كل يوم؟

قراءة الانجيل في الطبعات البروتستانيّة – غفرانات الثوب الازرق

ج نجيب على (الاوّل) انّ قراءة طبعة الاناجيل البروتستانيّة محظورة على الكاثوليك لسببين : احدهما تحريفهم لبعض آيات الانجيل المقدّس (راجع كتاب كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف للاب يوسف ثنان هام اليسوعيّ المطبوع سنة ١٨٧٢) . والآخر لأنّ الطبعات البروتستانيّة خالية من شرح بعض الآيات المبهمة كما امر به المجمع التريدنتينيّ . ونجيب على (الثاني) انّ الغفرانات الكاملة المعلّقة على الثوب الازرق بتلاوة ست مرات الصلاة الربيّة والسلام الملائكي لا يُمكن ربحها الّا مرّة كلّ يوم بخلاف الغفرانات الجزئيّة التي يجوز ربحها مراراً بتلاوة الصلوات المذكورة (راجع كتاب الغفرانات للاب برونر الطبعة الثالثة ج ١ ص ٥٦٦ في الحاشية)

***